جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة ربع سنوية

العدد السابع والعشرون [إبريل ٢٠٢٥م]

الأساليب البلاغية في التلطف والاستمالة مع اليتيم في البيان النبوي

الدكتور / هاني عمر محمد غانم

الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة

الأساليب البلاغية في التلطف والاستمالة مع اليتيم في البيان النبوي

هاني عمر محمد غانم
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: hanyghanem.33@azhar.edu.eg

الملخص :

البحث يتناول الدراسة البلاغية التحليلية، والنقد البلاغي التحليلي، والرؤية البيانية الفنية والمضمونية، في أحاديث الرسول ﷺ المتصلة باليتيم، وكيفية التعامل معه، والضوابط الإسلامية التي تحكم ذلك التعامل، وما تضمنته تلك الأحاديث من توجيهات وإرشادات ونصائح إسلامية لحسن رعاية اليتيم وكفالته، وكيفية تعبير الأحاديث عن ذلك كله. وتم ذلك من خلال دراسة وتحليل الجانب البلاغي، والبياني في تلك الأحاديث، وما فيه من قيم وأساليب بلاغية وبيانية، في مجالات الأسلوب الخبري، وأسلوب الشرط، والأسلوب الإنشائي، والتشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة، والكناية، وغيرها مما ظهر في سياق تحليل الأحاديث، والأساليب البلاغية والبيانية فيها، وبيان أسرار ودقائق ونكات تلك القيم والأساليب البلاغية والبيانية في الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة باليتيم، وتحليلها تحليلًا دقيقًا، يكشف عن علاقتها بالمضمون، ومدى اتساقها معه، ودورها في إيضاحه، وإيصاله إلى المتلقين جليًا بسهولة، عن طريق تلك القيم والأساليب البلاغية والبيانية؛ من أجل التأثير فيهم، ودفعهم إلى الوقوف على ما في الأحاديث من توجهات وإرشادات ونصائح إسلامية تخص معاملة اليتيم، وتطبيقها كما أراد الرسول ﷺ وكذلك تشويقهم إلى عظيم الأجر، وحسن الثواب، على ذلك في الآخرة.والبحث بذلك كله، يكشف بوضوح عما في أحاديث اليتيم من قيم وأساليب بلاغية وبيانية وفنية وملامح مضمونية، وضوابطها وسماتها، كما يكشف بوضوح عما في تلك الأحاديث –أيضا– من مظاهر التأثير في المتلقين، وتشويقهم، إلى حسن الثواب، وعظيم الأجر لهم في الآخرة على حسن رعايتهم لليتيم، من خلال تحليل تلك الأحاديث تحليلًا بلاغيًا وبيانيًا وفنيًا ومضمونيًا دقيقًا.

الكلمات المفتاحية: أساليب، التلطف، الاستمالة، اليتيم، البيان النبوي.

Rhetorical Techniques in Kindness and Persuasion towards Orphans in the Prophetic Discourse

Hany Omar Mohamed Ghanem.
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, New Damietta, Al-Azhar University, Egypt.
Email: hanyghanem.33@azhar.edu.eg

Abstract:
The research deals with the analytical rhetorical study, analytical rhetorical criticism, and technical and content-based rhetorical vision, the hadiths of the Messenger, peace be upon him, related to the orphan, how to deal with him, the Islamic controls that govern that dealing, and what those hadiths included in terms of Islamic directives, guidance, and advice for the good care and sponsorship of the orphan, and how the hadiths express all of that. This was done by studying and analyzing the rhetorical and expressive aspects of these hadiths, and the values and rhetorical and expressive styles they contain, in the areas of the informative style, the conditional style, the constructive style, simile, metaphor, metonymy, and other things that appeared in the context of analyzing the hadiths and the rhetorical and expressive styles in them, and clarifying the secrets, subtleties, and jokes of those values and rhetorical and expressive styles in the honorable prophetic hadiths related to the orphan, and analyzing them with a precise analysis that reveals their relationship to the content, and the extent of their consistency with it, and their role in clarifying it, and conveying it to the recipients clearly and easily, through those values and rhetorical and expressive styles; in order to influence them, and push them to stand on what is in the hadiths of Islamic directions, instructions, and advice regarding the treatment of the orphan, and to apply them as the Messenger, peace and blessings be upon him, wanted, as well as to excite them to the great reward and good recompense for that in the hereafter. Researching all of this clearly reveals the values, rhetorical, expressive, and artistic styles, and content features, controls, and characteristics of the orphan's hadiths. It also clearly reveals the manifestations of influence on the recipients in those hadiths, and their excitement for the good reward and great recompense for them in the afterlife for their good care of the orphan, through an accurate rhetorical, expressive, artistic, and content analysis of those hadiths.

Keywords: Methods, Kindness, Graciousness, Orphan, Prophetic Statement.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله . ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وبعد،

لقد بين لنا الرسول . ﷺ ما ينبغي أن تكون عليه علاقة المؤمنين بعضهم ببعض، فجعلها مثل البناء المتلاصق المتلاحم ، فقال . ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا)[1] .

وحثّ النبي . ﷺ على اندماج العواطف وتوافقها، ودفع قوة شعور الإنسان بإخوانه المسلمين، وبيّن ﷺ أنّ رابطة الأخوة بين المسلمين توجب على الموسر منهم مساعدة المعسر، وأي عسر أعظم من اليتم! فاليتم مظهر واضح للضعف، والحاجة إلى المعونة والرفق والرعاية، وكان رسول الله ﷺ أعظم من لمس آلام اليتيم، وأحزانه، ومن ثمّ اهتم به اهتمامًا بالغًا من حيث تربيته، ورعايته، وحسن معاملته، وضمان سبل العيش الكريم له، حتى ينشأ عضوًا نافعًا متسقًا مع محيطه وبيئته، ولا يشعر بالنقص، أو الانتباذ والعزلة عن غيره من أفراد المجتمع، فيتحطم، ومن ثم يصبح عضوًا هادمًا في الحياة.

وفي هذا السياق، من الضروري الإشارة إلى أن هذه الرعاية لا تقتصر على تقديم المأكل والمشرب، بل كلمة الإحسان تشمل دلالة أوسع على مستوى الفعل والقول معاً، فالإسلام، يُحرِّم قهره أو ذلّه أو التعدّي عليه وعلى حقوقه بجميع أشكالها، ويحث على تربيته على القيم والأخلاق الفاضلة، وتعويضه بالقدر الكافي من التلطف والاستمالة عمّا فقده من الحب والحنان بموت أبيه، مع توجيهه بالشكل السليم وتعديل سلوكه باتجاه الاستقامة، وردعه عن الخطأ، وسبل الانحراف.

وهذا ما سنستطلعه في هذا البحث –بحول الله وقوته– من كيفية اعتناء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المساجد باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ : ١٠٣/١، رقم ٤٦٧، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم. والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٩٩/٤، رقم (٢٥٨٥) .

النبي ﷺ واهتمامه التام بذلك اليتيم حتى يصير لبنة سليمة بناءة في المجتمع، وبهذه الرعاية تزيد روابط الإخاء بين المسلمين فيكون المجتمع متماسكًا مترابطًا، وقد ساق النبي ﷺ أحاديث كثيرة تخص اليتيم فرأيت أن أُفرد لهذا الموضوع بحثًا يتناول بالبحث والدراسة البلاغية من خلال النظر البلاغي والنقدي في تلك الأحاديث، وما يخص اليتيم فيها من توجيهات متعددة، خاصة في هذا الزمان الذي زاد فيه عدد المشردين بسبب ويلات الحروب وغيرها، فلعله يكون دافعًا لعلاج هذه الصور والنماذج التي نراها بأعيننا يوميًا، في محاولة مني للوقوف على بعض الأسرار البلاغية في تلك الأحاديث، والكشف عن خصائص التراكيب فيها، واستجلاء دقائقها، وعلاقتها بمضامين الأحاديث، ومدى دقتها في التعبير عنها.

دوافع البحث:

- بيان أن الأحاديث النبوية المتصلة باليتيم وما فيها من توجيهات هي التطبيق العملي للإسلام، وما فيها من مبادئ وأخلاق كفيلة بأن تقوِّم أمة، وتبعثها بعثًا جديدًا.
- يقيني التام بأن الدراسة البلاغية التحليلية لأسلوب البيان النبوي هي أقرب الدراسات إلي فهم هذا البيان الشريف وأوفرها نفعًا؛ لما فيها من الاطلاع علي الأسرار واللطائف المودعة في نظم البيان النبوي الشريف.
- أحاديث رسول الله . ﷺ معيار دقيق للفصاحة والبلاغة يُحتذى به، حيث كان له بالغ الأثر في شتى فنون القول؛ ولذا فقد فاق أسلوبه غيره من فنون البيان في جودة الإبلاغ والإفهام.
- أحاديث رسول الله . ﷺ عن اليتيم مثال يُحتذى به في دفع صلة الترابط وحماية اليتيم، ومثال للرأفة والرحمة لبني الإنسان، فضلًا عن كونها تُزيد من روابط المجتمع وتجعله مجتمعًا متماسكًا، فهذه الأحاديث تُبرز اهتمام النبي باليتيم وما يلزمه من عناية واهتمام.
- بيان أن أحاديث النبي . ﷺ تُحقق التوازن في المجتمع، وأنّ هديه هو الهدي المستقيم.
- شيوع اليتم؛ لكثرة الحروب في شتى أرجاء العالم الإسلامي، ولفت الانتباه إلى تلك الفئة.

– الوقوف على ما في تلك الأحاديث من قيم وأساليب بلاغية، وما تنطوي عليه من أسرار ودقائق ونكات بلاغية وبيانية، تجذب المستمع، وتؤثر فيه مما قد يحمله على الاهتمام برعاية الأيتام.

الدراسات السابقة:

– كفالة اليتيم في السنة النبوية المطهرة، د/هيفاء عبدالباسط محمد، مدرس الحديث وعلومه كلية الدراسات الإسلامية الإسكندرية، حولية كلية الدراسات الإسكندرية.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتألف البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، والمنهج الذي اتبعته، والخطة التي سرت عليها.

وأما التمهيد، فقد تناولت فيه تعريف اليتيم، وعناية واهتمام الإسلام به، وبيان منزلة أم اليتيم.

وأما المبحث الأول: فقد تناولت فيه بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث الخبر وأسلوب الشرط.

وأما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث الإنشاء.

وأما المبحث الثالث: فقد تناولت فيه بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث التشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة، والكناية، ثم تحليل تلك الأساليب والقيم البلاغية التي وردت في سياق أحاديث اليتيم، وفي سياق تحليلها في البحث؛ للكشف عن دورها الحيوي في جمال الأسلوب، ودقة تعبيره عن مضامين الأحاديث، وروعة كشفه وإيضاحه لها، وقوة تأثيرها في المتلقين، وجذبهم .. العمل بما ورد في الأحاديث من توجيهات إسلامية في التعامل مع اليتيم، وعظم ثواب الإحسان إليه.

وأما الخاتمة، فقد ذكرت فيها خلاصة البحث، وأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع، والتوصيات المقترحة.

منهج البحث

ولقد اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي الذي يقدم وصفًا للأسلوب البلاغي المتحدث عنه، من حيث تعريفه، وبيان عناصره، وضوابطه، وسماته البلاغية والبيانية والأسلوبية وعلاقتها بالمضمون، وأهمية ذلك الأسلوب– لكل ذلك– في إيضاح المضمون، وكشفه للمتلقين، وفي التأثير فيهم وتشويقهم إلى ما تشير إليه تلك الأحاديث، والذي يقوم بتقسيم الحديث النبوي إلى موضوعات حسب سياق كُل حديث، وتقسيمها حسب المقامات المتنوعة، وتحليل هذه الأحاديث تحليلاً بلاغيًا بيانيًا دقيقًا، وهذا الطريق في الدراسة يعطينا تصورًا واضحًا لكل موضوع في بيانه – صلى الله عليه وسلم– ويكشف عما تحويه الأحاديث من قيم وأساليب بلاغية، وما تنطوي عليه من أسرار ودقائق ونكات بلاغية وبيانية، لها دورها المهم في إيضاح مضامين الأحاديث، وقوة التأثير في المتلقين، ودفعهم إلى الالتزام بمضامين الأحاديث، والتشوق إلى عظيم الأجر، وجزيل الثواب في الآخرة لمن يحسنون معاملة اليتيم.

وأرجو– بعد ذلك– أن يكون البحث قد حقق الغاية المنشودة، والهدف المأمول من ورائه، وكشف بوضوح عما تحويه أحاديث اليتيم– محل الدراسة– من توجيهات وإرشادات ونصائح إسلامية في ذلك، وما حوته كذلك من مظاهر الأجر العظيم، والثواب الجزيل في الآخرة لمن يحسنون إلي اليتيم، سواء منها العامة التي وردت في مباحث البحث، والتي ظهرت في سياق تحليل الأحاديث وأساليبها البلاغية، وما حوته–أيضًا– من قيم وأساليب بلاغية متنوعة لها دورها البارز في جمال الأسلوب، وقوة السياق الأسلوبي والفني للأحاديث، وإيضاح المضامين، والتأثير القوي في المتلقين لتلك الأحاديث، ودفعهم إلى العمل والالتزام بما فيها، وبما توجه إليه من إرشادات وتوجيهات إسلامية في ذلك المجال، وإلى التشوق لثوابهم عليها في الآخرة، والله الموفق.

التمهيد

المراد باليتيم:

– تدور مادة (يتم) حول الانفراد والفقد، فاليُتْمُ: الانفرادُ، واليَتِيم: الفَرْدُ. واليُتْمُ واليَتَمُ: فِقْدانُ الأَب. وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: اليُتْمُ فِي النَّاسِ مِنْ قِبَل الأَب، وَفِي الْبَهَائِمِ مِنْ قِبَل الأُم" (١).

وحصره بعض العلماء في فقدان الأب دون الأم: "فلَا يُقَالُ لِمَنْ فَقَد الأُمَّ مِنَ النَّاسِ يَتِيمٌ، وَلَكِنْ مُنْقَطِعٌ. قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: اليتيم الذي يموت أَبوه، والعَجِيُّ الذِي تَموت أمه، واللَّطيم الَّذِي يموتُ أَبَواه، وقد يتِمَ الصبيُّ، بالكسر، يَيْتَمُ يُتْماً ويَتْماً، بِالتَّسْكِينِ فيهما، وَهُوَ يَتِيمٌ حتى يبلغ الحُلُم، والجمع أَيْتَامٌ ويَتامى" (٢).

وأحاديث اليتيم هي مادة هذا البحث في سياقتها المتنوعة؛ حيث تعم وتتسع لتشمل اليتيم بشكل عام، وبالشكل الشائع المتداول في السياق اللغوي والسياق العام بين المسلمين، وهو : من فقد أباه، أو من فقد أبويه معًا.

عناية الإسلام باليتيم:

إن فقدَ اليتيم أباه الذي يكفله، وفقد حنان الأب وعواطفه، فإنه لم يفقد الرحمة الإلهية حيث أحاطته بالتشريعات التي تعتني به, قال تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ} (٣)، وقال تعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} (٤)، وقال: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ} (٥)، وقال:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ} (٦).

وهذه العناية باليتيم ورعايته والمحافظة عليه لا تقتصر على الشريعة

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ. (يتم).
(٢) السابق المادة نفسها.
(٣) [النساء:٣٦].
(٤) [الإنسان:٨].
(٥) [البلد:١٥].
(٦) [البقرة:٢٢٠].

الخاتمة فقط، لكنها كانت في الشرائع السابقة لشرعنا, فمن جملة بنود الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل: الإحسان إلى اليتامى. قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً} (١).

وتظهر في تعبيرات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف- خلال الحديث عن اليتيم- أساليب التلطف والاستمالة من أجل العطف على ذلك اليتيم الذي فقد من كان يكفله، فأوصى له بمن يبادله العطف والحنان، والتربية الصالحة؛ ليكون فردًا صالحًا فلا تؤثر على نفسيته حياة اليتم، ولا تترك الوحدة في سلوكه شططًا يسقطه عن المستوى الذي يتحلى به بقية الأفراد ممن يتنعم بحنان الأبوة وعطفها .

ولما كان النبي ﷺ قد نشأ يتيمًا بيَّن الله تعالى له أنه قد أنعم عليه، وكفله، وأغناه فقال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى} (٢)، ويظهر من خلال هذه الآيات الكريمة، ويُستنبط منها، ما يحتاجه اليتيم في حياته الأولية، فهي بمضمونها تُعبر عمّا يستلزمه، ويتقوم به، اليتيم من مسكن وتربية وإنفاق، تشكل بيان المراحل التي لابد لكافل اليتيم والمجتمع معه من اجتيازها؛ للوصول بهذا اليتيم إلى ما أرادته له الشريعة من كونه سويًا مهديًا.

فقد وضع الله -تعالى- المنهج المتبع ببيان ما يُتقوى به اليتيم، وما هو في أمس الحاجة إليه، وما هو أكثر الأشياء نفعًا له، من خلال حديثه إلى النبي . ﷺ فبدأ بالمسكن الذي يأوي إليه في قوله تعالى:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى}، فأول ما يحتاجه اليتيم هو السكن والستر والحصن، ثم ثنى الله -تعالى- بأشد الأشياء احتياجًا لليتيم بعد المأوى وهي التنشئة والتربية الصالحة، بما تشتمل عليه من تأديب وتعليم وإصلاح؛ حتى لا يقع فريسة للمجتمع الفاسد في قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى}، واحتياجه للمال الذي يُنفق عليه منه،

(١) [البقرة:٨٣].

(٢) [الضحى:٦- ٨].

في قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى}.

وقد جاءت آيات القرآن الكريم لتراعي اليتيم من الناحية النفسية والاجتماعية؛ لينشأ نشأة سوية, فتلطف الأسلوب القرآني مع المخاطبين، واستمال قلوبهم بإكرامه والرفق به، ونهى عن قهره وزجره وإهانته , قال تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} (١)، وهو خطاب عام للمسلمين جميعًا، وإن كان متمثلًا في شخص النبي . ﷺ وهو المعلم الأول، فإذا كان الأمر له ـ ﷺ فواجب تطبيقه على الجميع في مثل هذه التوجيهات.

ومثال ذلك ما روي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ . ﷺ قَالَ: "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى" (٢).

وما روي عَنِ ابْنِ عُمَرَ –ﷺ– من قول النبي . ﷺ: "إِنَّ أَحَبَّ الْبُيُوتِ إِلَى اللهِ، بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ" (٣).

ويُفهم من هذا تنوع أساليب القرآن الكريم، والسنة النبوية في تلطف واستمالة المسلمين تجاه اليتيم؛ عسى أن يحظى باهتمام وإكرام, وهذا الإكرام يشمل كل صور حفظ اليتيم من ناحية حقوقه الاجتماعية سواء فيها: الإيواء، أو الإنفاق، أو التنشئة، فتكون معاملته مثل معاملة الأبناء.

فمن مظاهر إكرامه عدم تركه بلا تنشئة وتعليم، ومن حسن رعايته: تأديبه كما يؤدب المسلم أولاده، وعلى هذا فليس المراد بإكرامه هو الإنفاق عليه فحسب– بل المقصود كل ما يحقق تكريمه– والإحسان إليه.

وبمراعاة تعاليم القرآن الكريم هذه، يجد اليتيم اليد الرقيقة التي تحنو

---

(١) [الضحى:٩].

(٢) مسند أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. ٣٦/ ٤٧٤.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية، ١٩٨٣ م. ١٢/ ٣٨٨.

عليه، وتمسح على رأسه، لتزيل عنه غبار اليتم، وتضفي عليه ما يُريح نفسه من العطف والحنان.

المراد بالتلطف والاستمالة:

اللَّطِيف: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّه واسم من أَسمائه، وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِه) [١]، وفيه: (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [٢]، وَمَعْنَاهُ: الرَّفيق بعِباده، واللَّطِيف هُوَ الَّذِي اجْتَمَعَ لَهُ الرِّفق فِي الْفِعْلِ والعلمُ بِدَقَائِقَ الْمَصَالِحِ وَإِيصَالُهَا إِلَى مَنْ قَدَّرَهَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ. يُقَالُ: لَطَفَ بِهِ وَلَهُ، بِالْفَتْحِ، يَلْطُفُ لُطْفاً إِذَا رَفَقَ بِهِ.

واللُّطْف: الْبِرُّ والتَّكْرمة والتحَفِّي، وأَلْطَفَه بِكَذَا أَي بَرَّه بِهِ.

والتَّلَطُّفُ للأَمر: الترفُّق لَهُ، وأُمٌّ لَطِيفَة بِوَلَدِهَا تُلْطِفُ إِلطَافاً. واللَّطَفُ أَيضاً مِنْ طُرَف التُّحَف: مَا أَلطَفْتُ بِهِ أَخاك ليَعْرِفَ بِهِ بِرَّك. والمُلاطَفَةُ: المُبارَّة" [٣].

ومنه قوله تعالى: {فَلَيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ} [٤] أيّ وليترفّق في الحصول على ما يريد"[٥] .

وعليه، فالتلطُّف في اللغة لون من أساليب اللين وحسن التعبير، يلجأ إليه المتكلم عند الحاجة؛ دفعًا لضرر، أو تشاؤمًا، أو تحرُّزًا عن اللفظ الفاحش، فيعدل عن ذلك إلى اللفظ الحسن، والعبارة القشيبة.

والاستمالة:

تدور مادة هذه الكلمة حول الاستعطاف والميل والانجذاب والتآلف، يقال: اسْتَمال الرجلُ الرجلَ: من المَيْلِ إلى الشيء[٦].

---

(١) (الشورى ١٩).

(٢) (الأنعام ١٠٣).

(٣) لسان العرب: (لطف).

(٤) سورة الكهف (الآية: ١٩).

(٥) مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، الهيئة المصرية للكتاب مصر، ط١، ٢٠٠٨م. :مادة: (لطف).

(٦) المنجد في اللغة، ابن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل»، ت: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط: الثانية، ١٩٨٨ م. ص: ١٢٤.

واستمال الناسَ بالعطاء ونحوه: أي أمالهم[١]، واستماله بِكَلَامِهِ: اسْتَمَالَهُ بِرِقَّتِهِ وَحُسْنِ تَرْكِيبِهِ[٢].

وتقال في التآلف وطلب الود: تألَّف قلبَ فلان: استماله[٣].

واجتذب الزَّبائنَ: جذَبهم، شدّهم إليه، حوّلهم عن مكانهم، استمالهم، أغراهم "اجتذب الأنظارَ إليه[٤].

ومن المجاز: مال عن الحقّ وأميل عنه. واستماله: استعطفه. واستمال ما في الوعاء: أخذه[٥].

وينقل ابن الأنباري قول الفراء وغيره في معنى الآية الكريمة قال الله عزَ وجلّ: {وإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ في ضَلالٍ مُبين}: "أَنَّ المؤمنين أَدخلوا (أَو) في كلامهم وهم لا يشكُّون فيما هم عليه من الهدى، على جهة الترفُّق بالمشركين، والاستمالة لهم إلى طاعة الله"[٦].

فالذي يظهر من خلال ذلك أنّ أسلوب التلطف والاستمالة فن كسب القلوب والعقول، وفعلها يدل على محاولة كسب ود شخص ما أو التأثير عليه بطرق مختلفة، مثل الإغراء أو الوعود أو المجاملة، بهدف تحقيق مصلحة معينة.

وقد راعى البيان النبوي هذا الأسلوب البياني مع اليتيم، وكذلك مع

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، شوان بن سعيد الحميرى اليمني، ت: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ٩/ ٦٤٣١.

(٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت ١/ ٢٦٧.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م. ١/ ١١٠.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٣٥٣.

(٥) أساس البلاغة، الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، ٢/ ٢٣٧.

(٦) الأضداد لابن الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م. ص: ٢٨١.

أوصيائه والمتكفلين به؛ إلا أننا كما نجده . ﷺ يُوصي بإكرامه والرحمة به والحنو عليه، نجده كذلك يوصي بحسن تأديبه وتعهده، فيجمع له بذلك بين التغذية الجسدية والروحية، بين اكتمال الجسد واكتمال النفس معًا، حتى يبلغ رشده قويّا متزنًا عاقلًا حكيمًا يواجه الحياة والأقدار، مكتفيًا بنفسه عن غيره، كما نجده . ﷺ حريصًا كل الحرص في استمالة قلوب المسلمين في الحفاظ على مال اليتيم، ويُحذر من إهدار ماله أو أكله، إلا أننا نرى أنه . ﷺ لا تأخذه رأفة ولا شفقة بهذا المال إن كان حرامًا؛ ولا يرعوي إليه، فيأمر بإتلافه إن كان ما ورثوه مُحرمًا ومُخالفًا للشريعة السمحاء، وذلك بما نجده من توجيهه لأبي طلحة حين استفسر منه عن أيتام ورثوا خمرًا ماذا يصنعوا فيها؟ فأمره . ﷺ بإراقتها وعدم الانتفاع بها، فقد روي عن أنس بن مالك، أن أبا طلحة سأل النبي . ﷺ عن أيتام ورثوا خمرًا، فقال: " أهرقها " قال: أفلا نجعلها خلًا؟ قال: " لا "(١).

ففي هذا النّص إشارة إلى حرص النبي . ﷺ في دينه ودنياه بأن يُطعم الحلال ويُصان في مأكله ومشربه عن كل ما يُغضب الله ويستوجب سُخطه، إذ ليس من البر باليتيم ولا من حُسن تعهده ورعايته أن يُغذيه صاحبه وأن يُطعمه من حرام وسحت ثم تكون النّار أولى به.

وهذا من بالغ حكمته وعظيم بيانه . ﷺ ورحمته ورأفته باليتيم نفسه، فأن يأكل يومًا من حلال ويجوع يومًا خير له وأطيب من أن تأكله النّار.

وفي شؤم الحرام على اليتيم مع شدة فاقته وحاجته دلالة على أنه لا يأتي بخير، فهو وإن كان في ظاهره مال ورزق فإن في باطنه العذاب والمحق.

وإيثار النبي . ﷺ التعبير بكلمة (أهرقها) وهي من فرائد البيان النبوي الشريف التي امتاز بها، وليست الغرابة هُنا من العيوب المخلة؛ لأنها تتناسب تمامًا مع غرابة إطعام اليتيم منها، وهو أولى النّاس ليتمه وضعفه أن يُطعم من حلال، "والعربُ يعرفون هذا الضربَ من الكلام، وله نظائرُ في لغتهم، وكم من

(١) مسند أحمد ١٩/ ٢٢٦ (ط الرسالة).

لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سبقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروف معنى حسياً، وفي تأليف أصواتها معنى مثله في النفس" [١]. وهي في موقعها أشبه بقوله تعالى: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى}[٢]، "فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه؛ ولو أدرتَ اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها؛ فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم، مفصلة كلها على الياء؛ فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بناب لله مع أولادهم البنات فقال تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) .

فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكارَ في الأولى والتهكم في الأخرى؛ وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية"[٣].

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص: ١٥٨.

(٢) [النجم: ٢٢].
(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص: ١٥٨ بتصرف يسير.

المبحث الأول: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث الخبر وأسلوب الشرط.

يُعد أسلوب الخبر أحد أركان الجملة العربية، ويُعبر عن حدث أو حالة، كما يعد الخبر نافذة للولوج إلى دواخل النص؛ فهو يكشف عن معنى النص من خلال تحديد الفكرة الرئيسة، والأفكار الفرعية، كما أنه يكشف عن أسلوب الكاتب، وأهدافه، من خلال تحليل الدلالات المعنوية للخبر، كما أنه يعكس تأثير النّص في القارئ، ويُساعد في استيعاب المعاني الدقيقة والمستويات المختلفة للنص، فدراسة الخبر والاستعانة به في تحليل النصوص من أهم الأدوات القوية لفهم النص وتقييمه؛ وذلك لأن "الأسلوب الخبري يقوم على أساس إيجاد علاقة بين كلمتين أو أكثر"(١)، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية التي تربط بين حالتين، أو حدثين، يتحقق الحدث الثاني فيه بتحقق الحدث الأول، فيستخدمه الكاتب أو المتكلم؛ للتعبير عن الشروط التي يجب توافرها لحدوث شيء معين، أو للتعبير به عن النتائج المتوقعة إذا تحقق شرطها، كما أنه يُستخدم للتعبير عن الوعود المستقبلية إذا تحقق شرطها، وأسلوب الشرط بذلك يُضفي على الكلام جمالًا، ويجعله أكثر تأثيرًا وإقناعًا، فالجملة الخبرية جملة موضوعية، تعكس في هدوء رؤية الناطق بها للأحداث، وتصوره للأشياء، وتنقل إلى المتلقي معانيه وخواطره دون جلبة أو ضوضاء، إنها "لغة العقل والمنطق"(٢)؛ ولذلك كثيرا ما تطغى على اللغة التي يدون بها العلوم، بالإضافة إلى ما يحمله من أسلوب التشويق الذي ينسجم ويتناغم مع التلطف والاستمالة.

وهذا ما سنستطلعه، ونقف عليه في هذا المبحث بحول الله وقوته، من خلال تحليل الأساليب الخبرية، وأسلوب الشرط في أحاديث اليتيم، تحليلًا

(١) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي د/ ابتسام حمدان، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٩٩٧م. ص: ٢١٩.

(٢) دراسات في فقه اللغة، د/ صبحي صالح، دار العلم للملايين، ط: الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م: ص: ١٣٦ .

بلاغيًا بيانيًا دقيقًا، يكشف عن دورها في السياق، ودقتها في التعبير عن المضمون، وحسن التناسب بينهما.

الحديث الأول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ: "من كفل يتيما له قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو في الجنة كهاتين وضم أصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله –عز وجل– صائمًا قائمًا" (١).

اعتنى النبي . ﷺ باليتيم عناية كبيرة، فلمس آلامه وأحزانه، وحث على الاهتمام البالغ به؛ حتى يصبح عضوًا سويًا نافعًا في بيئته، ومن ثمَّ يصبح المجتمع الإسلامي بذلك مترابطًا متكاتفًا، فتلطف النبي . ﷺ في حديثه وخطابه مع المستمعين من خلال استمالة قلوبهم وتشويقهم لذلك الأجر الذي كُتب لمن اهتم بذلك اليتيم واعتنى به، مع دوام الأجر وتجدده لكل من يفعل ذلك إلى يوم تقوم الساعة، والنتيجة التي ذكرها النبي . ﷺ جاءت جزاءً لكافل اليتيم؛ لتعكس تلك المنزلة التي أعدها الله –تعالى– له، فهو بذلك ضامن وجوده في الجنة، ولكنّ الأمر لا يقف عند ذلك بل يتخطى ذلك بكثير ليكون في منزلة قريبة من النبي . ﷺ ، ومعلوم أن النبي في أعلى درجات الجنة، وهذا دليل على عظم تلك الكفالة ومكانتها في الإسلام، وعظيم أجرها عند الله –تعالى–، وقد ساوى النبي . ﷺ بين ذلك اليتيم، سواء أكان يتيمًا ذا قربى من الكافل ، أو كان بعيدًا عنه لا تربطه به علاقة غير الإسلام.

بدأ النبي . ﷺ بأسلوب التشويق الناجم عن أسلوب الشرط بقوله: (من كفل يتيمًا)، ليُحرك النفس ويُهيئها لتعلم ثواب كافل اليتيم المنتظر، وإنما يتمكن الخبر حين سماعه بعد التشويق؛ "لأن حصول الشيء المترقب بعض الشوق

(١) مسند البزار = البحر الزخار المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، حديث رقم (٩٦٨٩): ١٧/ ١١٦.

ألذ وأوقع" [١]

ثم أراد النبي ﷺ أن يؤكد على أن تلك الكفالة يتساوى فيها الطفل اليتيم سواء أكان قريبًا للكافل ذا صلة به، أو كان غريبًا عنه، فالجزاء فيهما واحد؛ حتى لا يعتقد أحد أن كفالة اليتيم مقصورة على اليتيم القريب في النسب فقط دون البعيد، أو أن يظن ظان أنّ الكفالة مقصورة على الغريب دون القريب، أو أن هذا القريب كفالته واجبة دون أجر، فقد جمع النبي ﷺ بين القريب في النسب والغريب في كونهما يشملهما الجزاء؛ توسيعًا للأجر وحماية للمجتمع .

وتتجلى مزية النظم هنا: في التقديم والتأخير للجار والمجرور (له) وانسجام التراكيب فيه مع المعنى، في قوله ﷺ: (من كفل يتيما له قرابة أو لا قرابة له)؛ إذ لما كان الحديث عن اليتيم ذي الصلة كان مُقدما على القرابة، ولما كان اليتيم لا قرابة له كان مؤخرًا في اللفظ، فقدم بحسن بيانه ما حقه التقديم وآخر ما حقه التأخير؛ للفرق بينهما، وما النظم إلا توخي مثل تلك المعاني، ومزية التقديم والتأخير تكمن في أنه "يكشف في جلاء عن نفسية المتكلم ورؤيته للأشياء من حوله، وأهمية الأشياء عنده، فالمقدم دائما هو الأثير؛ وذلك لأن "التقدم في اللسان تبع للتقدم في الجنان" [٢] .

وقد جاءت جملة جواب الشرط مقترنة بـ "الفاء" (فأنا وهو في الجنة كهاتين)؛ لأن الجواب غير صالح لأن يقع موقع الشرط فهو جملة اسمية، لذلك كان لابد من رابط بين جملة الشرط والجواب، وأولى الأشياء بالربط حرف "الفاء"؛ لمناسبتها معنى الجزاء، "فالفاء" معناها التعقيب بلا فصل، والجزاء متعقب للشرط [٣] في هذا البيان النبوي، واللغة العربية لغة شاعرة دقيقة،

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، ت: عبد الحميد هنداوي، ت: دار الكتب العلمية، بيروت . ١/ ٣٦٧.

(٢) البرهان الكاشف عن إعجاز القران، الزملكاني، ص: ٢٩٠، ت : خديجة الحديثى، مطبعة العاني - بغداد - ط الأولى، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م .

(٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، ت: د. يوسف حسن عمر، ط: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م،: جامعة قار يونس – ليبيا: ٤ /١٠٩ .

فاختيارها لهذا الحرف "الفاء" للربط هنا بين جملتي الشرط والجواب راجع للدلالة الوضعية لهذا الحرف، يقول سيبويه: "والفاء تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثر بعض" (١)، يقول الإمام عبد القاهر في معرض تعليقه على مجيء (الفاء) في قوله تعالى: **{فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا}**(٢) "وأي فرق يبين أن يقال: ومن يؤمن لا يخف فيجزم، وبين أن يدخل (الفاء)؟ فالجواب: أن هذا الذي توهمته من استواء الحالين إنما يتصور إذا لم يكن الفعل محمولا على مبتدأ، فأما إذا حمل على مبتدأ نحو: (فهو لا يخاف)، فإن الفعل يزول عن حده، ويكتسب طرفًا مما للاسم لوقوعه موقعه أي الثبوت، وإذا ثبت ذلك تبين الفرق بين أن يقال: (من يؤمن بربه لا يخف) وبين أن يقال: (فهو لا يخاف)، وظهر أن الأول لا يوجب من ثبوت انتفاء المخافة ما يوجبه الثاني" (٣).

ولما كان الجزاء متسببًا عن الشرط، ناسب ذلك المعنى حرف "الفاء"؛ لما فيه من معنى السببية كذلك (٤).

وجملة جواب الشرط جملة اسمية، جاءت لتدل على ثبوت هذا الحكم وهو وجود ذلك الكافل مع النبي ﷺ في الجنة على الدوام، وهذه الميزة والخاصية والجائزة كفيلة باستمالة القلوب وتشويقها إلى الحصول على تلك المنزلة التي لا تُضاهيها منزلة، فأي شرَفٍ بعد جوار النبي ﷺ في الجنة، ومما زاد ذلك جمالًا ورفعة أنه ليس بمنقطع بل يكون على الدوام.

وهذا البيان النبوي فيه انتقال من التعبير بالألفاظ والمعاني إلى التعبير بالإشارة، وهذه الإشارة قد دلت على المراد بقوة ووضوح مع ما فيها من إيجاز

---

(١) الكتاب لسيبويه، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م ٣٢٧/٤.

(٢) بعض آية من سورة الجن: "١٣".

(٣) المقتصد في شرح الإيضاح. عبد القاهر الجرجاني، ت: د كاظم المرجان، دار الرشيد بغداد، ١٩٨٢م. ١٠٧/٢.

(٤) ينظر: مغني اللبيب، لابن هشام، ت: د. مازن المبارك/ محمد حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط: السادسة، ١٩٨٥م. ٣٧٤/١.

واختزال للكلمات والجمل، وأعتقد أن العبارة لا تفي بما أوفت به تلك الإشارة (بإصبعيه) من التوضيح والبيان والإيجاز.

ثم يبدو أثر التشويق في زيادة وصف البيان النبوي لمكانة هذا الكافل في الجنة من خلال التشبيه في قوله: (كهاتين)؛ حيث شبه كافل اليتيم وهو في الجنة في منزلة جد قريبة من منزلة النبي . ﷺ بمنزلة قرب أصابعه بعضها من بعض، فهي قريبة كقرب أُصبع النبي بعضها من بعضها، وهذا التشبيه مبني على التدرج والترقي والمبالغة في وصف هذه المنزلة الرفيعة لكافل اليتيم، فقد ضمن له الجنة أولًا بقوله: (في الجنة)، ثم بعد ذلك تدرج معه في علو المنزلة حتى جعله قريبًا من منزلة النبي في الجنة كقرب إصبعه . ﷺ فقد ضمن له شرف الصحبة والمجاورة ثانيًا، فله الحسنى وزيادة، وفي هذا من جميل استمالته وبديع التلطف في المعنى.

وفي التعبير بالتشبيه دلالة أخرى، وهي: الإشارة إلى أن كافل اليتيم وحاضنه كبعض من النبي . ﷺ أو كجزء من أجزائه، وهي إشارة بليغة؛ إذ لما جعل الكافل اليتيم كولده كافأه النبي . ﷺ بأن جعله كجزء منه أو قريب منه.

وقد ساق البيان النبوي الحديث من خلال الأسلوب الخبري المتمثل في أسلوب الشرط والتشبيه؛ ليؤكد من خلاله على فضل كفالة اليتيم وتشويق المسلمين، واستمالة قلوبهم إلى هذا الصنيع.

وقامَت الإشارة (بإصبعيه) بدور كبير في إبراز أهميَّة وأفضليَّة مَن يقوم على أمر اليتيم، هكذا وقد قَربت منزلته من النبي . ﷺ بقوله: "وضم أصبعيه".

ومن بديع القول ومستعجب النسق: أن عطف النبي . ﷺ على كفالة اليتيم السعي على البنات؛ لما يجمعهم جميعًا من الضعف والحاجة، وكما عظّم أجر كافل اليتيم وقربه منه، فكذلك فعل مع الساعي على البنات فجعل له من الأجر ما للمجاهد المثابر الصائم القائم، وليس وراء ذلك من الأجر شيء، وذكر الجهاد مما يقوي معنى الحث؛ وذلك لأنه يدعوهم إلى فريضة ودين

"فالجهاد سنام العمل" [1] كما قال ـ ﷺ وما أعده الله للمجاهدين فوق كل وصف وأعلى من كل بيان ، ويكفي في ذلك قوله ـ ﷺ :"المجاهد في سبيل الله مضمون أجره على الله، إما أن يكفته إلى مغفرته ورحمته، وإما أن يرجعه بأجر وغنيمة، ومثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر حتى يرجع" [2] .

وفي عدم تقيد البنات باليتم توسعة وتعميم؛ ليشمل هذا الأجر كل من سعى على بنات، حتى وإن كُن بناته، وذلك لما يلازمهن من الضعف والانكسار، فهن دائمًا في حاجة إلى الجبر والرعاية يتيمات كُن أو غير يتيمات.

ولا يخفى ما في تقييد المشبه به هُنا بكونه صائمًا قائمًا؛ للدلالة على عظم الأجر وبالغه، وفي ذلك إشارة إلى رعاية الإسلام للمرأة وحمايته لحقوقها، فمنذ أن تدُب على الأرض يحثُ نبينا ـ ﷺ على السعي عليها، ويُرغب فيها، وليس وراء ذلك من الرفق بها، والاهتمام بشأنها شيء.

وفي هذا– أيضًا– من الترقي في المعنى مع البنات مثل ما كان مع صاحبهن اليتيم، فقد أوجب للساعي على البنات أجر المجاهد أولًا، ثم ارتقى بالتقييد في المعنى بوصفه بالصيام والقيام مبالغة في الأجر وزيادة فيه، وفي هذا من التلطف بالمخاطب ومن حسن استمالته ما يكشف عن بديع أسلوب النبي ـ ﷺ ومدى تملكه لأدوات البيان.

وهكذا بدأ في هذا البيان النبوي أهمُ سماتِه وخصائصه، من استيفاء المعنى، والخلوص إليه بأدق الألفاظ وأقلها مع وضوح التركيب، وسهولته، كما أن كل كلمة فيه مرتبطة بأختها ومنتسبة إليها، فأداة الشرط (مَن) رتبت الجواب على الشرط في نسق محكم من يكفل يكن بجوار النبي، وهكذا أدوات الشرط تأتي "لإخراج بيانه التشريعي، في أتم صورة وأدقها، مراعيا في كل حالة

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك: ٢٨٨/١ ، ت : حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية . بيروت . من دون طبعة .

(٢) سنن ابن ماجة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي. ٩٢٠/٢ .

موضوع التشريع ذاته، ونفسية المتلقي وحاله، فلكل موضوع مقال، ولكل إنسان خطاب"[١]، وذلك لما في طبيعة أسلوب الشرط من إثارة وتشويق "إذ يتطلع المخاطب عند سماع الشرط إلى معرفة جوابه، ويظل مترقبا له حتى يقف عليه فيتمكن في ذهنه" [٢] .

كما أنّ هذه الأداة (مَن) تتناغم مع خصائص الشريعة في تحقيق المساواة بين أفراد المسلمين جميعًا، ثم تأكد هذا العموم في (مَن) بتنكير كلمة اليتيم؛ ليشمل الإحسان إلى اليتيم حيثما وجد، فكأنما قال النبي . ﷺ: من كفل يتيمًا أي يتيم.

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ: "خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ، أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» يُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ" [٣].

جاء هذا البيان النبوي في سياق ذكر فضل اليتيم والاعتناء به، وبيان أن البيت الذي فيه يتيم مُكرم هو أفضل بيوتات المسلمين، والبيت الذي فيه يتيم مُهان هو أسوء بيوتهم.

وبدأ البيان النبوي هذا الحديث بهذه الجملة الخبرية: (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه)، "لأن ذلك البيت حوى الرحمة والرأفة والنيابة عن الله في الإيواء والشفقة وإكرامه وتعهد أموره والرفق به" [٤]، واعتمد فيها أسلوب التشويق كفن بياني يستميل به قلوب سامعيه، ويستشحذ به

(١) أسلوب الشرط في البيان النبوي (مواقعه وأسراره) رضا السعيد فايد ٦/ ٥.

(٢) الحديث النبوي "طرقه وأغراضه" د/ بسيوني فيود. ص: ٨٨، مطبعة الحسين الإسلامية. ط أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م.

(٣) الأدب المفرد، البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م ص: ٦١. سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، ح رقم (١٣٧): ٢/ ١٢١٣.

(٤) ينظر: فيض القدير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ ٣/ ٤٨٤.

هممهم، فما أن تلامس هذه الكلمة مسامعهم (خير بيت من السلمين) إلا ويتطلع كل منهم إلى معرفة ما يُتمم معناها علَّ بيته أن يكون من تلك البيوت السامقة، فإذا ما تمت الفائدة في قوله: (بيت فيه يتيم يُحسن إليه) فقد صادفت موقعها من القلب، وحازت منازلها من الرضا والقبول؛ لأن "حصول الشيء المترقب بعض الشوق ألذ وأوقع" [1]، وفي هذا من التلطف البياني والتودد المجتمعي ما فيه.

وبناء الجملة للمجهول في قوله: (يُحسن إليه، ويُساء إليه)؛ لتكثيف المعنى حول اليتيم، وجعله الركيزة والأساس، فهو المعني من النّص والمشار إليه فيه، فـ(خير بيت) بيت يكرم فيه بغض النظر عن الفاعل أيًا ما كان، وكذلك شرّ بيت بيت يُهان فيه، يستوي في ذلك من أهانه أو أساء إليه، كما أن في حذف الفاعل هُنا إشارة إلى أن هذا الفضل المذكور في هذا النّص المبارك لن يُنال إلا إذا كان البيت سببًا في إيصال الخير إلى اليتيم، والإحسان إليه، بغض النظر أن يكون البيت هو الذي يُحسن إلى اليتيم أو غيره، إذ المهم أن يصل الإحسان إليه فيه، وكذلك يكون هذا البيت مِنعة له من الإساءة والمهانة، فيستوي في ذلك أن تصل الإساءة والمهانة إليه من داخل البيت أو خارجه.

وقد أفادت الجملة الخبرية هُنا تقرير المعنى وتوضيحه، وهي مناسبة تمامًا للغرض العام من النّص، وجاءت خالية من المؤكدات سوى بنائها على الاسمية؛ لأنها لم تُصادف مخاطبًا جاحدًا أو منكرًا، وفي ذلك من مراعاة حال النبي . ﷺ لمراتب الكلام ودرجاته ما يتناسب مع أحوال المخاطبين ومقاماتهم المتنوعة.

وإيثار النبي . ﷺ كلمة (بيت) دون غيرها كمنزل أو دار؛ لما تستشعره في هذه الكلمة من البيتوتة والسكينة والدفء، مما يفتقده اليتيم عادة من المأوى والراحة، فهي مناسبة للسياق الذي وردت فيه، موافقة لمقام اليُتم والفقد.

والتعبير بصيغة التفضيل (خير) وإضافتها إلى (بيت) لا شك تُضفي

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ت/ عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت. ١/ ٣٦٧.

من ظلالها الوارفة عليه، وكذلك ما يُقابله في المعنى في هذا النص النبوي في قوله: (شر بيت)، فهي كلمة شديدة تُضفي من بؤسها على البيت المُضافة إليه، مما يجعل السامع والمخاطب الواعي في حالة من النّفور والبغض لمثل هذا البيت.

وقد قامت المقابلة بإبراز المعنى وتوضيحه وكشفه للناظر المتأمل، في قوله: (خير بيت، يُكرم)، و(شر بيت، يُساء)، حيث أظهرت البون الشاسع بين بيت الخير الذي يُكرم فيه اليتيم عن فضل ما سواه، وبين بيت اللؤم الذي يُهان فيه اليتيم، فصغر وحقر.

واستفتاح البيان النبوي هذا الحديث بـ (بيت الخير) أولًا قبل (بيت الشر) من حُسن استهلاله وبراعته . ﷺ وتقديمه بالمسرة والبشارة؛ حثًا للمسلمين وترغيبًا لهم في الخير أولًا قبل تحذيرهم من الشر وتنفيرهم منه، وهذا من حُسن بيانه . ﷺ بتقديمه (الخير) وجعله أول ما يقرع الآذان فيكون مدعاة للخير ودعوة للتفاؤل في أن الخير متمثل في وجود هذا اليتيم، وهو بذلك يستميل قلوب المسلمين حتى يبادروا إلى احتضان اليتيم ورعايته، وغير خاف أنّ براعة الاستهلال من حُسن البيان، يقول حازم القرطاجني: "وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها، المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجًا ونشاطًا؛ لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك، وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها" [(١)].

الحديث الثالث:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَحَبُّ بُيُوتِكُمْ إِلَى اللَّهِ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ"[(٢)].

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجني، ت: محمد الخواجه، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ص: ١٠٠.

(٢) الحادي عشر من الخلعيات، علي بن الحسن بن الحسين بن محمد، أبو الحسن الخِلَعي الشافعيّ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط: الأولى، ٢٠٠٤م، ص: ٥٩. والفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣، ح ر(٥٩): ١/ ٤٦.

مازال البيان النبوي سائرًا على ضرب التلطف والاستمالة وتحنين القلوب وترقيقها على أفراخ اليتامى، فيخبر عبر طريق التشويق واستثارة النفوس إلى الأجر العظيم والكبير وتلك المنزلة العالية وهي حُب الله –تعالى– ونيل رضاه لمن يكفلهم ويرعاهم ويتولى شؤنهم.

وقد استهل البيان النبوي الحديث بلفظة (أحب)، وهي صيغة مفاضلة، تدل على أن الله –تعالى– نظر في بيوت عباده فوجد أن البيت الذي فيه يتيم قد ارتقى على سائر البيوت، وأربى عليهم بما يضم في جنباته من حنو وعطف على هذا اليتيم، مع ما في البدئ بلفظة (أحب) من براعة استهلال تجذب المخاطب "وتستميل سمعه وقلبه، فإنها المواقف التي تستعْطِف أسماعَ الحضور، وتجذبهم إلى الإصغاء"(١).

وجاء التعبير في هذا البيان عن طريق الجملة الخبرية؛ لتفيد تقرير هذا الحُب وإثباته لهذا البيت وتفضيله على سائر البيوت، وجاءت الخيرية والأفضلية من كون هذا البيت به يتيم على الحقيقة، فالأسلوب الخبري هُنا جعل المسلم يُفكر ويستنبط لم كانت الخيرية لهذا المنزل دون غيره من المنازل، فالجملة الخبرية هى "القوة التي بها يعرف الإنسان، ويفكر، ويعلل، ويستنبط، وهذه القوة تحتاج في ثقافتها والتأثير فيها إلى الحقائق الصحيحة المعقولة بالبراهين الصادقة" (٢).

وإضافة صيغة المفاضلة (أحب) إلى بيوت مع أنّ المراد من بداخلها، وكذلك كلمة (خير) في الحديث السابق في قوله: (خير بيت في المسلمين)؛ للدلالة على أن الإحسان إلى اليتيم لا يكون جزاءه وثوابه لا يكون منعكسًا على المحسنين إليه والكافلين له فحسب بل يعم ويتسع ليشمل البيت نفسه، وفي هذا من الدلالة على عظم أجر كافل اليتيم ويُمنه وبركته ما فيه، فإذا كان حُب الله يصل إلى دار يقطن فيها اليتيم ويُحسن إليه فيها فما بالنا بتلك النفس التي

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: ص: ٤٨ .

(٢) الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط: الثانية عشرة ٢٠٠٣م. ص: ٢٢ .

أحسنت وآوت، وكيف يكون جزاؤها عند الله –تعالى–، ثم إن في الإضافة هنا ملمحًا آخر وهو الإشارة إلى أن هذا اليتيم فاقد الحنان والمأوى ينبغي أن يكون له بيت يأويه له فيه ما لهم وعليه ما عليهم، وقد أكدت الظرفية في قوله: بيت فيه يتيم معنى الإضافة في هذين الحديثين وألحث عليه.

وقد جمع النبي –صلى الله عليه وسلم– لهذين البيتين بين الخيرية وبين الحُب في الحديث الثاني؛ ليجمع هما بين المنزلة الكريمة بين البيوت والدرجة العالية السامقة عند الله، إلا أنه آثر التعبير بأحب فضلًا عن صيغة التفضيل في الحديث الثاني لما أولاه أصحابه من إكرام اليتيم وإعطاءه مزيد من التقدير والعناية؛ إذ الإكرام نوع خاص من الإحسان، فيجمع بين العطاء المادي وبين حُسن الرعاية والتعهد، ومزيد من التقدير والاهتمام، أما الإحسان في الحديث الأول فهي كلمة عامة تتسع لتشمل العطاء المادي ولو بكسرة من خُبز يُسد بها جوعة فقير فيسمى صاحبها مُحسنًا ولا يُسمى مكرمًا إلا إذا أولاه المحسن مزيدًا من العطاء ومزيدًا من العناية والرعاية والتقدير، ومن هذا الباب ما جاء في القرآن الكريم على لسان العزيز "أكرمي مثواه".

وآثر البيان النبوي التعبير بتنكير كلمة (بيت)؛ لِيعم سائر بيوت المسلمين التي فيها يتامى، ويفتح بابًا يتنافس المسلمون فيه في احتضان هؤلاء اليتامى، والعمل على كفالتهم ورعايتهم.

وإيثار النبي . ﷺ لهذه الكلمة (مُكرَم) في وصف اليتيم؛ لما تفيض به من العطاء والجود، فنيل تلك المنزلة السامقة لا يكون بمجرد أداء الواجب فحسب، وإنما يكون ببذل الوسع والطاقة في الإحسان إليه والتلطف به، فهي كلمة كريمة تتسع لتشمل المأكل والملبس والمأوى وحسن المعاشرة كذلك، وهي أشبه في معناها وعطائها بقول العزيز لامرأته في محكم التنزيل: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} [١] .

ومن الملاحظ أن النبي . ﷺ قد أخبر عن البيت الذي فيه اليتيم، مع أن

(١) [يوسف: ٢١].

العادة تقتضي أن البيت كُله لا يكون على درجة واحدة من الإيمان والعطاء، وإنما يتفاوت النّاس فيه، لكن الإحسان إلى هذا اليتيم وإن كان من بعض أهل البيت فإنه يرتفع بهذا البيت كُله، ويضفي عليهم من عطاءات الله –سبحانه– حتى يصل بهم جميعًا إلى تلك المنزلة، وفي ذلك دلالة على عموم النفع واتساع الكرم والجود من الله –تعالى–.

ثم تأتي دلالة إيثار حرف الجر (إلى) دون (عند) الله؛ لِيُفيد انتهاء الغاية، وكأن كرم اليتيم هذا غاية تُدرك بالإحسان وتستوجب البذل والعطاء لا مجرد ظرف أو مكانة معينة.

ولا شك أن هذا الجزاء الوافي من الله –تعالى– والعطاء الواسع، فيه استمالة للسامع وتلطف به نحو اليتيم والإحسان إليه، وحُسن التعهد والرعاية له؛ علَّه يُدخل بيته في سياق هذه البيوتات المباركة المفضلة.

الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ: "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ الْيَتِيمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ حَسَنَةً، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ أَوْ يَتِيمَةٌ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَنَصَبَ إِصْبَعَيْنِ وَقَرَنَهُمَا"(١).

في هذا البيان النبوي الشريف يُلاطف النبي . ﷺ اليتيم وكافله، ويستميل قلبه بما ينتظره من أجر هائل من الحسنات جراء ملاطفة هذا اليتيم بمسح رأسه، وإذا كان هذا الأجر قد أعده الله –تعالى– لمن يمسح رأس يتيم، فما بالنا بما أعده –سبحانه– لمن يكفله ويرعاه، ففيه تشويق وحض على العناية باليتيم، والاهتمام بشؤونه.

وجاء التعبير في هذا البيان النبوي الشريف بتشويق وإلهاب مشاعره واستثارتها عن طريق أسلوب الشرط في قوله: (مَنْ مَسَحَ رَأْسَ الْيَتِيمِ)، فتطلعت النفس إلى معرفة النتيجة المترتبة على ذلك المسح، وتنبهت أيما تنبه لمعرفة الجزاء، فعندما ذكر . ﷺ الجواب (كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ حَسَنَةً)

(١) مكارم الأخلاق للطبراني، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. ح ر(١٠٦)، ص: ٣٥٠.

استقر الحكم في نفس المخاطب، وتمكن منها أيما تمكن، وعملت على الاستشراف لهذا الفعل؛ ففيه النجاة والأجر الكبير.

وحرص البيان النبوي الشريف على الاتحاد بين أجزاء الكلام وربط بعضه ببعض من خلال التناسب بين رأس اليتيم وشعره، فالذي يظهر في الرأس هو الشعر الذي عبر عنه في جواب الشرط، مما أفاد ذلك من ربط (من) الشرطية بين أجزاء الكلام ومعناه.

ومسح رأس اليتيم هنا كناية عن التلطف به والرحمة به والشفقة عليه، ويعوض بشيء مما كان يستشعره من أبيه، قال الطيبي: "مسح رأس اليتيم كناية عن الشفقة والتلطف إليه، ولما لم تكن الكناية منافية لإرادة الحقيقة لإمكان الجمع بينهما كما تقول: فلان طويل النجاد وتريد طول قامته، مع طول علاقة سيفه رتب عليه قوله بكل شعرة يمر عليه يده" (١).

فالرمزية في هذا البيان النبوي لا تخفى على هذا الناقد المتأمل؛ إذ لا ينتفع اليتيم في حقيقة الأمر بمجرد أن يضع أحدنا يده على رأسه إنما المراد ما يتبع ذلك من عطف وحنو في القلب وبذل وسخاء في اليد، فمسح رأس اليتيم إذا ما هي إلا إشارة حانية وهمس خافت في قلوب المسلمين؛ للتوجه إلى هؤلاء، وبذل الوسع والطاعة في رعايتهم وحسن تعاهدهم، فحينئذٍ يُدرك بكل شعرة من رأسه حسنة.

وجاء تعريف اليتيم بالألف واللام التي هي للجنس؛ لِيشمل جميع جنس اليتامى ممن مات أبوهم، كما عبر عن (اليتيم) بصيغة المذكر؛ لقصد التغليب، وإلا فاليتيمة أولى بالرعاية وحسن التعهد، ثم إن فيه لطيفة أخرى وهي أن هذا الأجر إذا كان لمن أدى حق اليتيم فكيف به مع اليتيمة وهي أشد ضعفًا وأعظم فاقة.

وفي إسناد كتابة الحسنات إلى الله –تعالى– (كتب الله له)، والمعلوم أن

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. ٩/ ١٨٥.

الكتابة تكون من الملائكة؛ مزيد تشريف لهذا الأجر، ثم إن فيه دلالة أخرى على ثبات هذا الأجر ودوامه فما كتبه الله –تعالى– بيديه لا يمحوه غيره سبحانه فلا تبديل لكلمات الله.

وكأني بالنبي . ﷺ وهو يستميل المخاطب، ويستلطفه، ويستثير منازع الخير فيه، حين عبر هذا البيان، وتلك الأساليب الرفيعة، كأنه يهمس في أذنيه حسبك ذاك الخير، وتلك المنزلة.

الحديث الخامس:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ . ﷺ قَالَ: مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ الْبَتَّةَ إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لاَ يُغْفَرُ لَهُ" (١).

في هذا الحديث الشريف يدعو النبي . ﷺ إلى أهمية كفالة اليتيم ورعايته، فهذا العمل من أعظم الأعمال الصالحة التي تُقرب العبد من ربه، فمن قام بكفالة يتيمٍ مسلم ورعايته وتوفير كل ما يحتاجه من مأكل وملبس ومشرب، فإن الله –تعالى– يُكافؤه على ذلك بإدخاله الجنة، وذلك لفضل الله وكرمه على عباده المؤمنين.

وابتدأ البيان النبوي بهذه الكلمة (من قبض)؛ لِيوحي بمدى حرصه على اليتيم وإحكام سيطرته عليه حتى إنه لينتزعه انتزاعًا في قبضته، مع أن ظاهر النص كان يقتضي أن يقول من دعى يتيمًا إلى طعامه، غير أن هذا الانحراف عن هذا الطريق الظاهر إلى هذه الكلمة يوحي بما أسلفنا الإشارة إليه.

ويظهر من خلال لفظة (قبض) الموحية بالتصوير المبهج، لذلك المسلم إلي أن يبحث عن نجاته لعله يضمن الجنة، تلك الضالة التي وجدها في ذلك اليتيم، فتلك اللفظة تصور لنا كافل اليتيم، في شدة حرصه، وولعه في البحث عنه، وضمه إلى طعامه وشرابه، بالذي يقبض على شيء، ويستحوذ

(١) الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت: ١٩٩٨ م، أبواب البر والصلة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالته، ح ر(١٩١٧): ٣/ ٣٨٤.

عليه، ولا يتخلى عنه ألبته، وكيف يتخلى عنه وفيه نجاته؟

وقوله من (بين المسلمين) فيها إشارة إلى التنقيب عن اليتيم والبحث عنه بين المسلمين، لا أنه ينتظر حتى يُصادفه في مكان ما.

ثم إن قوله: (ألبتة) كلمة قاطعة جازمة بالغاية الموعودة، وأن أجره لن يضيع أبدًا.

وقد بُني البيان النبوي على التشويق عبر جملة الشرط وجوابه (من قبض يتيما، أدخله الله الجنة)، ليربط بين إكرام اليتيم ودخول الجنة في نسق محكم ويُرتبه عليه، فقد تبين من خلال أسلوب الشرط وربطه بين أجزاء الكلام، وتوضيح سُبل تحقق الجواب بدخول الجنة، وأنه مرهون بالشرط وكفالة اليتيم، والتأكيد على ذلك المعنى من خلال استمالة القلوب بجميل العطاء والجزاء.

وعبر بالتنكير في قوله: (من قبض يتيمًا) للتعميم؛ ليدخل فيه سائر اليتامى.

وخص البيان النبوي الطعام والشراب دون سائر ما يحتاجه اليتيم من صنوف الرعاية؛ لأنهما أغلب وأشد ما تمس الحاجة إليه، ثم إن اليتيم عادة ما يكون له بيت وتكون عليه كسوة ظاهرة، أما الطعام والشراب فلا يبدوان عليه، كما أن فيه تنبيهًا بالخفي المستتر على الظاهر الواضح، وتدرجًا في الرعاية وترقيًا فيها، فحين يأخذ المسلم اليتيم إلى بيته، ويُجلسه مع خاصته ويُشركه في زاده لا ريب أنه يتحسسه بعد ذلك، ويتعاهده، ويوليه الرعاية والحنان.

وفي الجزم له بالجنة والقطع له بالأجر استمالة بالغة للقلوب، وداعية إلى التلطف الرائق معه، فها هي سلعة الله – تعالى – الغالية بين يديه مقطوع بها.

ثم إن الاستثناء الذي ذيل به البيان النبوي الحديث الشريف ما هو إلا تأكيد على ثبوت الأجر؛ إذ الذنب الذي لا يُغفر كما في التنزيل الشرك بالله – تعالى– ولا شك أن مثل هذا الوصي المُحسن الكافل لليتيم أبعد ما يكون عن الشرك، فكأن النبي . ﷺ جزم له بالجنة فحسب.

الحديث السادس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى النَّبِيِّ . ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ, فَقَالَ: "إِنْ

أَرَدْتَ أَنْ يُلَيَّنَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمَسَاكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ"[(١)].

جاء في التنزيل المُحكم أنّ القلوب اللينة هي القلوب المؤمنة وأن القلب القاسي الغليظ ويل له ثم ويل له، ولما كان الصحابة أشد الناس مصاحبة للقرآن ومعايشة له، فقد كان أحدهم يخشى على نفسه القسوة ويفر منها، ويبحث، إن وجد، عن علاج لها، ومن هؤلاء: هذا الصحابي الجليل، الذي جاء شاكيًا قسوة قلبه إلى رسول الله . ﷺ وما يتبع ذلك من ضعف إيمانه، وما من شك في أن أسباب تلك القسوة وسُبل إزالتها وعلاجها لها مشارب شتى، ومنازع متعددة، لكنه . ﷺ الحكيم الخبير بمنازع النفس الإنسانية ومشاربها المتنوعة، آثر نوعين اثنين من الدواء: اثنين إطعام المساكين والمسح على رأس اليتامى، وذلك لما وجده فيهما من أثر ناجع فعال في تليين القلوب وترقيقها وردها إلى منازل الإيمان؛ ذلك لأنّ مُلاطفة اليتيم الّذي مات أبوه تُذكّر بالموت، وتُشعر بالفقد، كما أنّ الرَّأفة والرِّفق به ومُؤانسته، وإذهاب البؤس عنه ترقق القلب، وتجعل الإنسان يَصحو من غفلته، فيرِق القلب القاسي بهذه المواعِظِ.

ومما لا يخفى على أحد أن النبي . ﷺ أُشرب القرآن إشرابًا، ثم فاض به بيانًا عذبًا سلسبيلًا، فهذا البيان النبوي، الذي نحن بصدده، بمعناه وفيوضاته، مقتبس من الذكر الحكيم، ففي التنزيل جاء قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} [(٢)]، وقوله تعالى: {كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ } [(٣)]، فقد نزلت هذه الآيات في حق من قسى قلبه وحاد عن طُعمة هؤلاء اليتامى والمساكين، ولما كان لإطعام الطعام خاصة والعطف على اليتامى من أثر بالغ في رقة القلوب وزيادة الإيمان فإن الذكر الحكيم لم يكتفِ بخطاب الفرد فقط في السياق الأول وإنما تجاوزه إلى الضمير الجمعي للأمة، وكأن الله –

(١) مسند أحمد: ح رقم (٧٥٧٦): ٢٢/١٣.
(٢) [الماعون: ١ – ٣].
(٣) [الفجر: ١٧، ١٨].

سبحانه- يُريد منا جميعًا أن نكون على درجة واعية من الرحمة والرأفة بالمساكين، وجبر اليتامى ومسح آلامهم وأحزانهم.

فالمسح هنا على رأس اليتيم كناية عن التلطف مع اليتيم، وما هو إلا مسحًا للآلام والأحزان، وإن كان سبيله مسح تلك الشعيرات على الرأس كمدخل حسي للحنو والعطف، وفي ذلك من التلطف بالمجتمع قاطبة واستمالته إلى اليتامى والمساكين ما يعجز عنه البيان، وتُقطع دونه الأعناق.

ومن الملاحظ في أسلوب هذا النّص النبوي: أنه . ﷺ لم يدخل مباشرة إلى غرضه، مع أنه جاء في سياق جواب عن سؤال مباشرة عن قسوة القلب، بل ساقه في نسق شرطي مُحكم تشويقًا له، واستنهاضًا لوعيه وفكره، حتى إذا ما جاء الجواب ووقع المخاطب منه على مراده وبُغيته وافق منه القبول والرضا، وتمكن من نفسه أيما تمكن، فقوله ﷺ: (إن أردت أن يلين قلبك)، بهذه الصيغة المستثيرة، وتعقيب الجواب بالفاء؛ للربط الناجز؛ مما يجعل المخاطب في حالة من الترقب الدائم واللهفة، ثم يأتيه الجواب (فَأَطْعِمِ الْمَسَاكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ)؛ فيُبادر إليه، ويمتثل له قبل أن ينقضي النّاس من مجالسهم إن استطاع.

وإيثاره . ﷺ لأداة الشرط (إن) دون (إذا) مناسبة لما بدر من حال السائل من قسوة القلب وضعف الإيمان، فجاء له . ﷺ: بما يُناسب حاله ويتسق مع سياق البناء الكلي للنص، وكأني بالنبي . ﷺ ينظر في عينيه معاتبًا بهذه الصيغة (إن)؛ حتى يستشحذ ما في قلبه من إيمان ومحبة فيقدم بعد ذلك على المراد من بذل وإحسان، ولذلك "تراها تزداد حسنا إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن وقد جرت عادة الناس بخلافه" (١).

وأفرد النبي . ﷺ (اليتيم) في الحنو، ومسح الآلام والأحزان، بعدما جمع (المساكين) قبلها؛ لِيدل المخاطب على أن المساكين إن كان يجدهم، ويعرف كيف يصل إليهم جماعات، فإن اليتيم ينبغي أن يُنقب عنه حتى يعثر عليه

(١) دلائل الإعجاز تح / محمود محمد شاكر مطبعة المدني، القاهرة، ط الثالثة ١٤١٣ هـ /١٩٩٢ م، ص: ٣٢٥.

فردًا، وقد جرت بذلك العادة في السياق المجتمعي، فقد يُطعم أحدنا بيتًا كاملًا من المساكين وذوي الفاقة، بخلاف اليتيم فقلما تجد في بيت واحد مثل هذا العدد الجمعي، فصدق رسول الله . ﷺ وجلّ من علّمه وآواه.

الحديث السابع:

عن مالك بن الحارث ﷺ أنه سمع النبي . ﷺ يقول: مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ، وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، كَانَ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزَى بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ" (١)

على نسق الحديث السابق ومنواله في الحث على كفالة اليتيم ورعايته حتى يستغنى، جاء وعد الله –تعالى– لمن يفعل ذلك بوجوب الجنة له، وكذلك من أعتق مسلمًا كان هذا العتق بمثابة نجاته من النّار.

والتعبير بهذه الصيغة (ضم) توحي بمدى العزلة والانفراد الذين يُعاني منهما اليتيم، ومدى حاجته إلى من يأخذ بيده، وينقذه منهما ويحتضنه بين جوانحه، ثم إن في ضمه إلى خاصة طعامه وشرابه لطيفة أخرى، تشير إلى أن اليتيم ليس بحاجة إلى ما يملأ جوفه من الطعام والشراب فحسب، لكنه إلى جانب ذلك في حاجة أمس إلى الحنو والعطف والإيواء منه، عكس حاجته إلى الطعام والشراب، فالكلمة الطيبة الرقراقة قبل اللقمة الكافية.

وتشويق النبي ﷺ كما هو عادته في أحاديث كافل اليتيم واستمالته إياه عبر بأسلوب الشرط أداته (من)، والتي تتسع باتساع دلالتها لكل من يتأتى منه الخطاب والعقاب.

والتعبير بالظرفية (بين) له دلالة خاصة، فهو لا يريد يتيمًا يُنشأ عند أبوين مسلمين، بل يُريده بينهما يحتضناه معًا، ويخفضان له أجنحة الحنان والعطف، فالظرف هُنا مقصود يرتقي به اليتيم إلى منازل الولد، والإضافة في طعامه وشرابه توحي بمدى شراكة اليتيم في خاصة طعام الرجل وشرابه فكأنما

(١) مسند أحمد، ح رقم (٢٠٣٣٠): ٣٣/ ٤٤١.

صار منه لا عليه، و(حتى) هُنا غائية توحي بمدى مثابرة الكافل وتصبره حتى يصل باليتيم إلى رشده وقيامه بنفسه، والجواب من النبي ﷺ لعطاءات الكافل ومثابرته جواب جازم قاطع أوجب له الجنة ألبتة.

والتعبير بصيغة الماضي ومجيء الكلام بها على خلاف مقتضى الظاهر في قوله: (وجبت الجنة) مع أنها مستقبل آت؛ تعجيل بالمسرة والبشارة وتلطف بالغ في الاستمالة؛ فالجزاء مع العطاء قرين به ملاصق له، وذلك لِتحققه وللجزم بوقوعه.

وجاء عطف النسق في قوله: (وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، كَانَ فِكَاكَهُ مِنَ النَّار) عقب قوله: (من ضم يتيمًا) متسقًا تمامًا مع البيان النبوي ومتناغمًا معه، فهما في سياق الفوز بالجنة والنجاة من النّار، وبينهما من دقيق المناسبة ولطيف العطاء ما يدل على تمام فصاحته . ﷺ وفائق بلاغته؛ حيث أعطى، في شطر الحديث الأول، من أعطى (الجنة)، وأعتق، في شطره الثاني (من النار) من أعتق جزاءً وفاقًا، وفي ذلك تمام المطالع والمقاصد وجميل العطف والتناسق وبديع النّظم ما يمتاز به، وينفرد، البيان النبوي الرفيع العالي.

ومن اللافت للنظر في هذا النّص النبوي غلبة أسلوب التدرج والترقي مع هذا اليتيم، فقد بدأه . ﷺ بالضم كمرحلة أولى؛ لانتشال اليتيم من ظلمة العزلة والانفراد والوحدة، ثم ارتقى به درجة فجعله بين أبوين بدلًا من أبواه، ثم قيدهما بهذا القيد المحكم مسلمين يرعيان فيه الدين والملة وكأنها إشارة لطيفة إلى ما ينبغي أن يُنشأ هذا اليتيم عليه من تعاليم الإسلام، ثم ارتقى به مرة أخرى إلى خاصة طعامه وشرابه فلا يأكل وحده ولا يشرب وحده طعامًا دونًا ولا شرابًا دونًا، بل يأكل بينهما وهو في أحضانهما مما يأكلان منه ويشربان، ثم علا التدرج واكتمل الترقي باليتيم باستدامة هذا العطاء، حتى يشتد عوده، ويبلغ رشده، ويستغني عنه، فيصل بأبويه هذين الضامّين له إلى الجنة.

فقد ربط أسلوب الشرط بين المعاني في الحديث، ورتب بعضها على بعض وأكد على معنى الجزاء بتحقق الشرط فيه.

الحديث الثامن:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النَّبِيّ . ﷺ قَالَ: "مَا قَعَدَ يَتِيمٌ مَعَ قَوْمٍ عَلَى قَصْعَتِهِمْ فَيَقْرَبُ قَصْعَتَهُمْ شَيْطَانٌ" (١).

هذا البيان النبوي الشريف يحمل في طياته دلالة عميقة على أهمية بر اليتيم والعناية به، فعلى قدر قربه والتودد إليه على قدر ما يتحصن من الشيطان في رزقه وماله، وذلك مدعاة لتشويق المسلمين إلى الابتعاد عن الشيطان من خلال ضم اليتيم إلى الطعام، ومن ثمّ الحماية والتحصن.

وقد بنى النبي . ﷺ استمالته لمجتمع المسلمين وتلطفه معهم في حثهم على كفالة اليتيم وإطعامه وإكرامه على أسلوب التنكير، الذي يُفيد التعميم في هذا السياق النبوي، فقوله: (ما قعد يتيم) تتسع معه سبل اليتامى، فأي يتيم يحصل به الإطعام، ويتم به المراد، وكذلك التنكير في (قوم) فأي قوم قعد بينهم يحصل لهم ذلك، وكذلك الجزاء نكر فيه (شيطان) أي شيطان، مبالغة في حمايتهم من هذا الشيطان ومنعتهم من أن ينال منهم، " فالتنكير معنى شامل وعميق وصالح لأن يتولد منه المعاني وذلك إذا أجراه في التعبير بصير بأموال الكلمات خبير بسياسة التراكيب" (٢) .

وترتيب الجواب على الشرط بالفاء هاهنا فيه دلالة على سرعة حفظ هؤلاء ومبادرة العناية لهم، كما أن يقعد معهم حتى يُحفظوا، ويمنعوا.

و(ما) النافية الشرطية هُنا مع جوابها أشبه في هذا البناء النّصي المحكم بنظرية ثابتة، أو بقاعدة يُبنى عليها ما وراءها، فما أن يسمع السامع مثل هذا الكلام الجاري مجرى المثل حتى يُبادر إليه ويُمتثل له.

وفي وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: (فيقرب قصعتهم شيطان) مع أنه كان بإمكانه أن يقول في غير هذا النسق –العالي والبيان الرفيع–

---

(١) مسند الحارث، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، ت: حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م. كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الأيتام ح ر(٩٠٧). ٢/ ٨٥٣.

(٢) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: السابعة. ص: ٢١٤.

(فيقربهم شيطان)؛ للدلالة على أن هذه المَنعة كانت من جرّاء اليتيم لجلوسه معهم على قصعتهم، وأن هذه القصعة ذاتها إنما عُصمت به ومنعت، ولذلك لم يقل (فيقربهم شيطان)، وأنهم إن أرادوا الزيادة في التحصن من الشيطان والتّحرز منه فعليهم الزيادة في الإحسان إلى اليتيم والرعاية له؛ لأنها به ومنه.

وقد بُني الأسلوب الشرطي هُنا على الإيجاز، فهو كاللمحة والإشارة الدالة، ولا شك في أن النبي . ﷺ كان يُعنى به أيما عناية، وأثره بيّن في مثل هذه الأحوال والمقامات فيقصد إلى تركيز المعنى وتكثيفه؛ حتى لا يحيد المخاطب عنه، أو ينحرف عن المراد منه وما يرمي إليه.

الحديث التاسع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكِ؟ وَمَا أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي"(١).

الجملة الخبرية هُنا مبنية على التأكيد بالبدء بالضمير (أنا)، وهي متضمنة لخصوصية للنبي . ﷺ بكونه أول من تُفتح له أبواب الجنة، وعبر هذا الاستثناء المشوق والتلطف البالغ يكشف لنا . ﷺ عن مزاحمة له على الباب تكاد تذهب بالعقول؛ إذ من يصل به عمله الطيب، وترتفع به جميل سجاياه، إلى أن يُزاحم النبي الأكرم، ويضع قدمًا أولى معه في الجنة، ثم ما يلبس النبي . ﷺ أن يكشف لنا أنها امرأة قعدت على كفالة أيتام ورعايتهم.

وإيثار النبي . ﷺ لذكر المرأة معه في مسابقته لدخول الجنة فيها ما فيها من السبق لهذه المرأة وعِظم الجزاء لها، وكأنها لما قعدت عن مثيلاتها من نساء الدنيا في الزينة والتمتع، فسبقنها إليه، أجزل لها ربها العطاء؛ فبادرت وسبقت الرجال والنّساء معًا.

والاستفهام في قوله لها: (ما لك وما أنت) استفهام تعجبي يحمل في طياته التعظيم والتقدير، وتكريره على هذا النحو تكرير للإعجاب من صنيعها أولًا، ومنها ثانيًا.

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م. ح ر(٦٦٥١): ١٢/ ٧.

وجاء تنكير المرأة في هذا السياق في موضعين: (امرأة تُبادرني)، (أنا امرأة)؛ للدلالة على أن الذي يعنينا صنيعها لا هي، فأيما امرأة قعدت مثلها سبقت.

والتعبير بالضمير وإبرازه في قولها: (أنا امرأة قعدت) بعد قوله . ﷺ: "أنا أول من يفتح له" فيه إبراز خصوصية لهذه المرأة بقعدتها على هؤلاء الأيتام، وأنها حين حبست نفسها عليهم كانت هي من تفتح باب الجنة مع سيد الأنبياء.

وفي قولها: (قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي) استعارة مكنية بديعة، استعار فيها شدة عنايتها بأيتامها وحسن مراعاتها لهم بالدجاجة أو النعامة الحانية التي قعدت على بيضها تصونه وترعاه حتى يخرج أبناؤها، بجامع الملازمة والملاصقة والرعاية في كل، فهذه الصورة البديعة التي تُصور هؤلاء اليتامى بفراخ صغار لا يعلمون من أمور الدنيا شيئًا سوى من يتعهدهم بالرعاية والعناية؛ لذى نالت هذه المرأة تلك المنزلة.

ومن اللافت للنظر، من خلال التأمل في الأحاديث سالفة الذكر، أنه . ﷺ كما نوع في أساليب الشرط وطرق الجواب، فقد نوع كذلك في الجزاء والعطاء ما بين الجزم بالجنة أو الرقي فيها بمجاورة النبي . ﷺ ، أو حماية الأوصياء من الشيطان، ومن أن ينال منهم أحد، أو أن يأخذ من زادهم، ولا شك في أن في تنوع العطاءات مزيدًا من الترغيب والتلطف والاستمالة، سواء من ناحية البيان والأساليب، أو من جانب الجزاء والهبات، وهو أسلوب اجتماعي كذلك من الدرجة الأولى، فتنوع النّاس، واختلاف درجاتهم في الدين والدنيا، يقتضي من المتكلم، الخبير بمنازعهم، والمطلع على أحوالهم أن يُنوع لهم في العطاءات، فلا ينفلت أحد منهم، أيًا كانت درجته الإيمانية، ومستواهم المعيشي، من أن يضرب بسهم معهم .

المبحث الثاني: بلاغة التلطف والاستمالة في التعبير بالإنشاء

مدخل:

الجملة الإنشائية هي تلك التي تحمل في طياتها أمراً أو نهياً أو طلباً أو دعوة أو تعجباً أو غير ذلك من المعاني التي تستهدف التأثير في المتلقي وتحريك مشاعره أو دفعه إلى اتخاذ موقف معين، وبالتالي، فإن بلاغة التعبير في الجملة الإنشائية تتطلب مهارة في اختيار الكلمات المناسبة وبنائها بطريقة تجذب الانتباه وتحقق الهدف المرجو وتكشف عن الكثير من جوانب النص، وتساعدنا على فهم أعمق لمعانيه ودلالاته.

والجملة الإنشائية توصف بأنها جملة ذاتية تحمل قدرًا هائلًا من الانفعال، وتصحب التعبير عن العواطف المشبوبة، والنفوس الملتاعة، فهذا بابها وميدان سبقها؛ لذا فهي قادرة على التأثير في عقول وقلوب الناس، ودفعهم إلى التصرف أو التفكير بطريقة معينة.

فالجملة الإنشائية – سواء أكانت طلبية أم غير طلبية – ذاتية، بمعنى أنها ألصق بعواطف الإنسان ومشاعره, فهي تعبر عن مجموعة واسعة من المشاعر والأحاسيس، من الحب والكراهية إلى الفرح والحزن.

فالإنشاء ذاتي شعوري ينظمه العقل ويرتبه الوعي، ولكن الفارق هو حجم هذا الانفعال– في كل جملة، وبالمقابل يمكن القول: إنه لا توجد جملة– مهما كانت غارقة في الانفعال لا تخالطها عناصر منطقية عقلية، ولكن المهم أي العنصرين أكثر غلبة على الجملة.

والإمام عبد القاهر طالما بدأ وأعاد في الحديث عن الموافقة بين الكلمة أو العبارة وبين المعنى الذي تجتلب له , يقول: "اعلم أن لكل نوع من المعاني نوعا من اللفظ هو به أخص وأولى, وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أجلى" (١).

(١) الرسالة الشافية، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: الثالثة، ١٩٧٦م. ص: ٥٧٥.

فقولـه: وضـروبًا مـن العبـارة صـريح فـي الـنص علـى تنـوع العبـارات المستعملة, وأن كل نوع يصلح للتعبير عن معنى من المعاني .

الحديث الأول:

عن عمرو بن دينار، عن الحسن العرني، أن رجلًا قال: يا رسول الله، مم أضرب منه يتيمي؟ قال: "مِمَّا كُنْتَ مِنْهُ ضَارِبًا وَلَدَكَ"، قَالَ: أَفَأُصِيبُ مِنْ مَالِهِ؟ قَالَ: "غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالًا، وَلَا وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ" (١).

اهتم الإسلام باليتيم وحث على تأديبه وتربيته، وقد اجتهد الصحابة – رضوان الله عليهم– بشأنه؛ وذلك لما استشعروه من الأجر العظيم الذي أعده الله لكافل اليتيم، وفي هذا البيان النبوي يستفسر الرجل عن أي شيء يضرب منه اليتيم الذي هو تحت كنفه ورعايته، فأجابه . ﷺ بأن يُعامله مثل ولده، فيؤدبه بما يؤدب به ولده، ويضربه مما يضرب منه ولده، واستفسر عن مال اليتيم كيف يتعامل معه؟ أيحق له أن يأخذ منه كما يأخذ من ماله، فوجهه النبي . ﷺ محذرًا له أن يأخذ من أصل ماله، أو أن يستغل مال اليتيم الذي هو تحت يده، فيُنفق من مال اليتيم، وإنما يُحافظ على ماله.

وهذا الاستفهام وإن كان استفهامًا حقيقيًا؛ إذ الغرض منه الاستخبار، غير أنه يُظهر مدى تعظيم الصحابة لليتيم، ومدى تحوطهم في التعامل معه بدنيًا وماليًا؛ خشية الهلاك والوقوع في المحظور، فالاستفهام هُنا مع حقيقته لا يخلو من البلاغة وإصابة الغرض، لما "فيه بعث على النظر والتأمل" (٢).

والتعبير في قوله: (مِمَّا كُنْتَ مِنْهُ ضَارِبًا وَلَدَكَ)، جاء للإيجاز والاختصار؛ إذ الأصل تضرب يتيمك مما كنت ضاربًا منه ولدك، وفضلًا عن الإيجاز والاختصار –وهو البلاغة– فلعل نبينا – نبي الرحمة– لم يُرد أن تجري هذه الكلمة (تضرب) على اليتيم ولو لفظًا؛ رحمة به وشفقة عليه.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ت: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م، باب الولي يأكل من مال اليتيم مكان قيامه عليه بالمعروف إذا كان فقيرا، ح ر(١٠٩٩٤): ٦/ ٦.

(٢) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني فيود، مكتبة وهبة، القاهرة، د. ط : ١٤٠/٢.

والإضافة في قوله: (ولدك) لها مدلولها الخاص؛ إذ تشي بمدى قرب اليتيم من نفس كافله، وأنه ينبغي ألا يكون بمعزل وحده بل يُضم إلى الأبناء، له ما لهم وعليه ما عليهم.

وجاء الإذن بالضرب والتأديب لليتيم من النبي ـ ﷺ ؛ لِيجمع له بين حُسن التأديب والتهذيب في نفسه، وحسن التعهد والرعاية له في ماله، حتى يبلغ رُشده، فيُصبح سويًا لا سفيهًا غويًا، يُضيع ما صانه له كافله من مال وثروات.

فيُفهم من هذا البيان النبوي أنه . ﷺ طالما دعا إلى إكرام اليتيم، وأن من هذا الإكرام تأديب ذلك اليتيم؛ حتى لا يفهم أحد أن الإكرام مختص بمسح الرأس والحضانة والطعام والشراب فقط، لكن من إكرام اليتيم ضربه وتأديبه؛ حتى يصبح إنسانًا مُعتدلًا سويًا، لكن الرسول . ﷺ الأكرم قد جعل هُناك حدودًا وضوابط لهذا الضرب والتأديب، فلم يُعط للكافل الحق في الضرب مطلقًا، ولكن جعله في الأشياء التي يضرب ولده عليها، ويؤدبه بها.

وقد فُهم هذا المعنى بتمامه من قوله تعالى في حق اليتامى: **{فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}** [النساء: ٦]، يقول مجاهد في تفسيره للآية: رشدًا: العقل"، وقال الحسن: رشدًا: أي: صلاحًا في دينه وحفظًا لماله"[(١)]، فما السنة إذا إلا تفسير للقرآن الكريم، وتبيان لمجمله.

وأتبع الرجل سؤاله الأول باستفهام آخر فقال: (أَفَأُصِيبُ مِنْ مَالِهِ؟) وهو استفهام حقيقي كذلك، يحمل الكثير من معاني الحرص على اليتيم، والحذر من التعدي عليه في ماله.

وقد بُني جواب النبي على الإيجاز كذلك، إذ أصل العبارة (أصب من ماله غير متأثل مالًا)، وفضلًا عما فيها من بديع الإيجاز فإن النبي . ﷺ أراد أن يحفظ مال اليتيم من لفظ الإصابة أن تجري عليه نُطقًا قبل أن يحفظه منه واقعًا معاشًا.

---

(١) ينظر: غريب الحديث/ ابن سلام الهروي، ت: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، ط: الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م: ٤١٢/٣.

ثم جاء التوسط بين الكمالين في قوله: (ولا واق مالك بماله)؛ ليجمع له بين عدم انتهاك ماله أولًا، ثم عدم وقاية مال نفسه وصيانته بمال اليتيم آخرًا، وهو من باب جواب الحكيم كذلك؛ حيث إن السائل سأل فقط عن قدر ما يُصيب من مال اليتيم، فكان يكفيه في الجواب أن يُقال له : أصب من ماله غير متأثل، لكن النبي . ﷺ بالغ في صيانة مال اليتيم، وتحوط في وقايته؛ للحفاظ عليه؛ حتى لا يأكله الطمع ولا الحيلة.

وكلمة (متأثل) هنا كلمة بليغة فريدة لا يُغني عنها غيرها في مقامها هذا وسياقها هذا، إذ التَّأَثُّلُ: "اتِّخَاذُ أَصل مَالٍ. وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ، . ﷺ أَنه قَالَ فِي وَصِيِّ الْيَتِيمِ: إنه يأْكل مِنْ مَالِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّل مَالًا، قَالَ: المُتَأَثِّلُ الْجَامِعُ، فَقَوْلُهُ: غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ أَي غَيْرَ جَامِعٍ"(١)، فنهى النبي . ﷺ الموصي عن ضم أصل المال إلى ماله؛ لما قد يكون فيه من ضياع لمال اليتيم، وتجاوز عما جرت به العادة، واقتضته الحياة والمعيشة من بعض طعامه وشرابه أو ماله؛ للنصوص العامة التي جاءت في باب الوصية باليتيم، وحسن التعهد والرعاية له، وهو بذلك يجمع بين رعاية اليتيم، والحفاظ على ماله وبين عدم العنت بوصيه.

وجاء بيان الاقتصاد في الطعام من مال اليتيم والإصابة منه بالمعروف على قدر الحاجة، في رواية أخرى فيها (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عِنْدِيَ يَتِيمًا، أَفَآكُلُ مِنْ مَالِهِ؟ قَالَ: «بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالًا وَلَا وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ" (٢)، فكلمة (بالمعروف) هُنا من الكلمات الشريفة المعطاءة التي تختزن كثيرًا من المعاني وتفيض بوارف من الظلال، حيث رخّص له النبي ﷺ بها أن يأخذ من مال يتيمه ما يكفيه على قدر الحاجة، تلطفًا في مال اليتيم ورفقًا به، فوفاه حقه في الأخذ، ووفى اليتيم حقه في حفظ ماله وصيانته من العدم.

وقد زاوج النبي ﷺ بين تنكير المال وتعريفه مزاوجة بديعة في هذا البيان النبوي الشريف؛ حيث نكره أولًا في قوله: (غير متأثل مالًا)؛ لِيعُم الحذر وتتسع

(١) لسان العرب (ثأل).

(٢) البر والصلة، للحسين بن حرب، المحقق: د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن – الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩هـ ص: ١١٠.

دائرته عند هذا الموصي؛ رحمة به وشفقة عليه، فلا يضم مالًا، أي مال، ليتيم كان أو غير يتيم إلى مال نفسه، ثم عرّفه في قوله: (ولا واقٍ مالك بماله)؛ لِيخص به مال اليتيم، لأن الوقاية بالمال أقل من أخذه، فلم يُحرّج عليه أن يقي نفسه وماله بمال غير مال اليتيم ما لم يكن إثمًا ولا حرامًا، بخلاف ما لو نكر وقال: (ولا واقٍ مالك بمال)، فإن فيه من العنت عليه ما لا يقدر عليه ولا يُطيقه.

وفي هذا الأسلوب تدرج في التحذير من الأعلى إلى الأدنى، فضم مال الغريب ، سيما اليتيم، حرام قطعًا، بخلاف التوقي بمال الغير من غير أخذه أو ضمه إلى ماله، فإنه أدنى من الدرجة الأولى.

الحديث الثاني:

عن أبي بكر الصديق–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنة سيئ الملكة، فقال رجل: يا رسول الله، أليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثر الأمم مملوكين وأيتاما؟ قال: " بلى، فأكرموهم كرامة أولادكم، وأطعموهم مما تأكلون " قالوا: فما ينفعنا في الدنيا يا رسول الله؟ قال: "فرس صالح ترتبطه تقاتل عليه في سبيل الله، ومملوكك يكفيك، فإذا صلى فهو أخوك، فإذا صلى فهو أخوك" (١).

الجنة سلعة الله الغالية، ومطمح الأنفس العالية، فحين يُخبر عنها أن أحدًا يُحرم منها فتلك هي الفاجعة والخذلان، وقد أخبر النبي ﷺ في هذا البيان الشريف أن صنفًا من هذه الأمة لا يدخلون الجنة، وهم سيؤوا المِلكة؛ لما تحت أيديهم من اليتامى والمملوكين؛ والمقصود بسيئ الملكة: "سيء الخُلق في المملوكين بالضرب وسوء المعاملة" (٢)

وقد بني الأسلوب الخبري هُنا على النفي المطلق في قوله: (لا يدخل

(١) مسند أحمد. ح ر(٧٥): ١/ ٢٣٧. (ط الرسالة).

(٢) ينظر: شرح سنن ابن ماجه للسيوطي ص: ٣٦٢. وَفِي الْحَدِيثِ: لَا يَدْخُلُ الجنةَ سَيِءُ المَلَكَةِ، مُتَحَرِّكٌ، أَي الَّذِي يُسِيءُ صُحْبة الْمَمَالِيكِ. وَيُقَالُ: فُلَانٌ حَسَن المَلَكة إِذَا كَانَ حَسَنَ الصُنْع إِلَى مَمَالِيكِهِ. لسان العرب (ملك).

الجنة)؛ مبالغة في التهديد والوعيد من الحرمان منها؛ حيث لم يُحدد لهم موعدًا ولا منتهًى يدخلون فيه، مع أنه لا يُخلد في النّار، ويُحرم من الجنة أبدًا، إلا الكُفار؛ مبالغة في الزجر، وتشديدًا في الوعيد.

وعبر الصحابة بالأسلوب الإنشائي الذي طريقه الاستفهام التقريري في قوله: (أليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثر الأمم مملوكين وأيتاما؟) اتساقًا مع السياق العام للنص، فإنه لما أخبرهم ﷺ بأن سيئي المِلكة لا يدخلون الجنة، اقتضى استفهامهم وطلب الفهم؛ حيث إن النبي ﷺ قد أخبرهم قبل ذلك أن سيئي المِلكة أكثر الفئات من هذه الأمة يدخلون النار، فكيف يقول النبي ﷺ أن من يدخل الجنة قليل؟ فقد أخذهم الهلع من ذلك؛ خوفًا من عدم دخول الجنة بما عمت به البلية؛ لكثرة الأيتام والمماليك في أيديهم.

وجاءت إجابة النبي ﷺ بـ (بلى)؛ لتقرير وتأكيد ذلك الأمر، ولكنه ﷺ دلهم على ما هو سبيل النجاة لهم وللأمة جمعاء، بقوله: (فأكرموهم كرامة أولادكم، وأطعموهم مما تأكلون)، ففيهما النجاة.

وقد جاء التشبيه هُنا على طريقة الأسلوب البليغ في قوله: (فأكرموهم كرامة أولادكم)، والتقدير: فأكرموهم كرامة مثل كرامة أولادكم، وهو على حد قول امرئ القيس:

سموت إليها بعد نام أهلها سموحُباب الماء حالًا على حال[1]

فحذف حرف التشبيه إيجازًا في الصورة، وتكثيفًا للمعنى المراد؛ لينفذ إلى غرضه مباشرة، ويُزيل ما من شأنه أن يُعيق، ولو للحظة، ما بينه وبين مراده، ومثل هذا التركيب التشبيهي عند النبي ﷺ وعند أمير الشعراء، يُرد به على ابن رشيق القيرواني حين زعم أن هذا التشبيه يحسن عندهم، ويعظم قدره، حين لا يكون قبله فعل من لفظه، فيقول معقبًا على قول امرؤ القيس: " وأبدع من هذا عندهم وأغرب قول المنخل اليشكري:

دافعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير

(١) ديوان امرئ القيس، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م. ص: ١٣٧.

وإنما براعته عندهم لما لم يكن قبله فعل من لفظه.

ومن مليح التشبيه قول أبي كبير الهذلي:

فالطعن شغشغة، والضرب هيقعة ... ضرب المعول تحت الديمة العضدا"[١] .

كما أن في البيان النبوي القائم على الأسلوب الإنشائي وجهًا آخر سبيله الاستئناف البياني، وذلك قوله ﷺ: (فقال رجل: يا رسول الله، أليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثر الأمم مملوكين وأيتاما؟ قال: " بلى، فأكرموهم كرامة أولادكم، وأطعموهم مما تأكلون " قالوا: فما ينفعنا في الدنيا)، فقوله: يستثير سؤلًا في النفس، مفاده: فماذا كان جواب النبي ﷺ على هذا الرجل؟ فيأتي الجواب هكذا طاويًا هذا السؤال بين دفات أساليبه، والاستئناف البياني هُنا له خاصته ودالته، فهو يعقد مشاركة فاعلة وبناءة بين المتكلم والمخاطب، وبين النص ومتأمله [٢].

وللتشبيه هنا أثره ودوره الفاعل في بيان النص، وإنما موطن الحُسن والإبداع حين يقع التشبيه موقعه، ويُصيب غرضه، كما، فالبيان النبوي عمد إلى ذكر هذه الكلمة مكررة بصيغة المصدر (أكرموهم كرامة)؛ لِيُلح عليها إلحاحًا لترتكز في نفس المخاطب بها، ثم يأتي المشبه به فيلونها بريشته، ويُضفي عليها من فيضه، فيذهب ما بها من شائبة التكرار بعدما صبغها بقيوده تلك الصبغة الجديدة، فقوله: (كرامة أبنائكم) (نوع مخصوص من الكرامة، أضفته الإضافة على جانب المشبه به، وكذلك سمو حباب الماء) هو نوع مخصوص من الحبو غاير به الحبو الأول، وعليه فانتزاع المشبه به من الفعل نفسه ليس أقل براعة من أن يُنتزع من فعل مغاير، مادام قد أصاب الغاية والغرض، وصبغته الأساليب بقيودها المتنوعة.

---

(١) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيروانى . ت : محمد محيى الدين عبدالحميد . دار الجيل . بيروت ـ ط الخامسة ١٤٠١هـ . ١٩٨١م ١/ ٢٩٤.

(٢) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم . محمد عبد الخالق عضيمة ١١/ ٢٨٩. دار الحديث، القاهرة الطبعة: بدون.

وهذا التعبير بما يتضمنه من الاستئناف البياني قائم على الإيجاز بحذف جملة القول، وغير خاف ما في أسلوب الإيجاز من البلاغة والبيان، وتكثيف المعنى وتركيزه في دائرة محددة.

وعبر بأسلوب الأمر في (فأكرموهم كرامة أولادكم، وأطعموهم مما تأكلون) وإن كان محمولًا على حقيقته وظاهره، فإنه مما يُستشف منه كذلك بمعونة السياق والمقام معاني النُّصح والإرشاد، والتنبيه على ما ينبغي أن يكون "على سبيل التلطف وبدون تضرع أو استعلاء " [1]، وفي ذلك من بيان بلاغة النبي ﷺ بالأساليب الحقيقية المباشرة، وفي عرضه لها هذا العرض الأتم المُحكم، ما ينبئ عن مقدرته ﷺ الفائقة الحقيقية منها والمجازية.

ولا شك في أن السّياق هُنا سياق إرشاد وتوجيه، لا مجال فيه للتصوير أو الخيالات، التي تبتعد بصاحبها، في مثل هذا المقام، عمّا يشغله، ويُلح عليه من سُبل النّجاة.

وتعقيب الصحابة بهذا السؤال العام في قولهم: (قالوا: فما ينفعنا في الدنيا يا رسول الله؟) بهذه الصيغة الإنشائية التي طريقها الاستفهام الحقيقي، يدلُنا على حرصهم على أن يفتح لهم النبي ﷺ باب الجنة من جديد بعدما كاد أن يُغلق في وجوههم منذ قليل بسوء الملكة، فجاءهم الجواب النّاجع من النبي ﷺ بقوله: "فرس صالح تربطه تقاتل عليه في سبيل الله، ومملوكك يكفيك، فإذا صلى فهو أخوك، فإذا صلى فهو أخوك" بأنه فرس صالح يجاهد عليه في سبيل الله، ومملوك تُعتقه صلاته وصلاحه، بعدما زهدوا في ملذات الدُنيا وما من شأنه أن يحول بينهم وبين الجنّة بهذا السؤال.

الحديث الثالث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ رَحِمَ الْيَتِيمَ، وَلَانَ لَهُ فِي الْكَلَامِ، وَرَحِمَ يُتْمَهُ وَضَعْفَهُ، وَلَمْ يَتَطَاوَلْ عَلَى جَارِهِ بِفَضْلِ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ" [2].

---

(١) علم المعاني . بسيوني فيود، ٢/٧٥ .

(٢) مكارم الأخلاق للطبراني، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م. باب فضل التكفل بأمر الأيتام، ح ر(١٠٥): ص: ٣٤٩.

لما كان الاهتمام باليتيم من الأبواب الواسعة لدخول الجنة، أراد النبي ﷺ أن يؤكد لأمته على ذلك، وناسب ذلك القسم منه ﷺ؛ ليؤكد على النجاة يوم القيامة لمن يرحم اليتيم، ويخفض له جناح اللين في الكلام، ويرحم ضعفه، ولما كان الجار وحرمته من الأمور المهمة التي تستوجب التأكيد عليها أضافه ﷺ إلى اليتيم وحقوقه، وأقسم أن من يرحم اليتيم ويُحافظ على حقوق جاره، فإن الله لا يُعذبه أبدًا يوم القيامة.

ومعلوم أنّ النبي ﷺ لا يصدر منه القسم إلا فيما استُعظم من الأمور، وكبُر من المعاني، وقد جاء القسم هُنا إجلالًا لحق اليتم، وتقديرًا لشأنه عند الله –تعالى– وتأكيدًا على ذلك، وقد بُنيت جملة القسم على النص على بعثة النبي ﷺ، وفيه إشارة إلى صدق ما يُنبأ به بعد ذلك؛ لتهيئة النفوس واستمالتها إلى حُسن تلقيه وقبوله والعمل بمقتضاه.

وقد أثار القسم هُنا التشويق واللهفة في نفوس السامعين لما يأتي بعده، فتلاه هذا الخبر العجيب في قوله: (لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ رَحِمَ الْيَتِيمَ)، فنفى العذاب كاملًا نفيًا مُطلقًا عمّن يرحم اليتيم، ويُشفق عليه، والتنصيص بذكر يوم القيامة؛ للإشارة إلى أن وصي اليتيم، أو كافله، قد يُصيبه في الدنيا شيء من العذاب الظاهري من العنت أو الحاجة، وليس ذلك بشيء إذا ما قورن بنفي العذاب عنه يوم القيامة وهو الأهم الأعظم، فذكر يوم القيامة هُنا مقصود ومراد من النبي ﷺ؛ لمواساة الوصي باليتيم ومسح آلامه، وما قد يُصيبه من الرهق والعنت في تعهد اليتيم، والقيام على شؤونه.

وقد بُنيت جملة النفي على التفصيل بعد الإجمال في قوله: (مَنْ رَحِمَ الْيَتِيمَ، وَلَانَ لَهُ فِي الْكَلَامِ)، فلين الكلام وخفض الجناح ما هما إلا باب من أبواب الرحمة باليتيم، غير أن التنصيص عليه للدلالة على أنه غالب ما يدور بين اليتيم وكافله، وهو أساس المعاملة بينهما، فنص عليه البيان النبوي نصًا لأجل ذلك.

ثم كرر البيان النبوي الوصية باليتيم بالرحمة به مفصلًا سببها بعد ذلك في قوله: (وَرَحِمَ يُتْمَهُ وَضَعْفَهُ)؛ لبيان علة الوصية، وسبب التلطف باليتيم، وهذا لا شك أدعى للقبول لها واستمالة النفوس إليها.

الحديث الرابع:

عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كنت عند رسول الله . ﷺ فأتاه غلام فقال: يا رسول الله يتيم وله أم أرملة وأخت يتيمة أطعمنا أطعمك الله, أعطاك الله من عنده حتى ترضى, قال: "ما أحسن ما قلت يا غلام, يا بلال اذهب إلى أهلنا فأتنا بما وجدت عندهم من طعام , فذهب فجاء بواحدة وعشرين تمرة فوضعها في كف رسول الله . ﷺ, فرفعها رسول الله ـ ﷺ إلى فيه, فدعا فيها بالبركة, ثم قال: «يا غلام سبع لك وسبع لأمك وسبع لأختك, فتغد بتمرة وتعش بأخرى», فانصرف الغلام فقام إليه معاذ بن جبل فوضع يده على رأسه وقال: يا غلام جبر الله يتمك وجعلك خلفا من أبيك, وكان من أولاد المهاجرين, فقال له رسول الله . ﷺ: «قد رأيت يا معاذ ما صنعت», فقال: رحمة له يا رسول الله, فقال رسول الله . ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يلي مسلم يتيما فيحسن ولايته فيضع يده على رأسه إلا رفع الله له بكل شعرة درجة وكتب له بكل شعرة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة"[1].

جاء هذا الحديث في سياق طلب يتيم نفقة وطعامًا من النبي . ﷺ ، ويظهر في هذا البيان النبوي الشريف استحسانه ﷺ لِحُسن عرض اليتيم في طلبه، فيقضي له حاجته، ويُبين في هذا البيان النبوي فضل ولاية اليتيم، وما تحمله من رفع الدرجات ومحو السيئات.

وأن يستحسن النبي . ﷺ وهو أفصح العرب– قول أحد لمدعاة إلى البحث وراء هذا الاستحسان وعن أسبابه، وحين النّظر في قول اليتيم في هذا النّص نجد أنه أجاد وأصاب الغرض بلفظ موجز موف بالمراد، فقد بدأ بنداء النبي . ﷺ أولًا؛ للتنبيه بأعلى درجة ممكنة إلى حاله، ثم ناداه بلقبه الأتم الأكمل الرسالة بقوله: (يا رسول الله)؛ للإشارة إلى ما يتوجب على صاحبها . ﷺ من صفات الكمال، ثم صدّر حديثه عن نفسه بحذف المسند إليه الضمير (أنا) فقال (يتيم)؛ ليدخل مباشرة إلى غرضه ويصل إلى مراده،

(١) مسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الأيتام، ح ر(٩٠٥): ٢/ ٨٥٢.

ويستعطف منذ الوهلة الأولى قلوب سامعيه ويستميلهم، فأسقط ما يحول بينه وبين مراده ولو لفظًا، "فحذف المسند إليه هنا للاختصار وضيق المقام"[١] ، كما جاء الحذف –أيضًا– للمبادرة إلى المطلوب ، فالحذف هُنا– فضلًا عما فيه من الإيجاز، وهو لُب البلاغة– فيه تكثيف للمعنى في اليتم، وسرعة في الوصول إليه.

وجاءت الواو في أعلى مراتبها في الجمع والتوسط بين الكمالين، فعطفت على يُتمه أمًا أرملة، وأختًا له يتيمة، فضمهما إلى يُتمه وجمع بينهما جميعًا في نسق واحد؛ مبالغة في استمالة النبي . ﷺ واستعطافه له.

ثم أفصح عن مراده وهو طلب الإطعام بهذه الجملة الطلبية الأمر، بقوله: (أطعمنا أطعمك الله)، التي خرجت عن ظاهرها إلى الدعاء والرجاء، وقد أحسن في طلبه وبغيته بدعائه للنبي ﷺ بجنس ما طلبه منه في قوله: (أطعمك الله)، ثم بهذه الجملة المستأنفة مرة أخرى (أعطاك الله من عنده حتى ترضى)؛ مبالغة في استعطاف النبي واستمالته بتنويع الدعاء له، فكانت حُسن ختام منه.

وكان في وضعه المظهر موضع المضمر في قوله: (أعطاك الله) إصابة لغرضه أيما إصابة، ففي ذكر لفظ الجلالة مرة ثانية مصرحًا به هكذا إشارة إلى أن الله –تعالى– هو المطعم وهو العاطي، وأن النبي ﷺ قاسم، فليُطعم يتيمه وليعطه مما أعطاه الله منه، وأطعمه إياه.

وفي ختمه دُعاءه بقوله: (حتى ترضى) إشارة إلى نفسه عن طريق الرمز، وإشارة بأن يرضى هو الآخر، فهو يدعو لنفسه هُنا بقدر ما يدعو للنبي ﷺ.

ومن فصاحة هذا الغلام وحسن بيانه سوقه الدعاء للنبي ﷺ في صورة الخبر في قوله: (أطعمك الله، أعطاك الله)؛ لرغبة مُلحة منه وحسن رجاء في تحقق ما دعا به، فساقه مساق الخبر المتحقق بصيغة الماضي؛ "للتفاؤل،

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ٣١٩/١٠، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي . القاهرة ط الرابعة، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.

وإظهار الحرص في وقوعه"[1].

ومن هُنا جاءت هذه الإشادة من أفصح العرب بفصاحة هذا اليتيم وجميل مدخله إلى غرضه، وبذلك يكون هذا اليتيم قد أحسن في طلبه بداية ووسطًا وختامًا؛ حتى أوجب استحسانه من النبي ﷺ.

وما أجمل ما بدأ به النبي ﷺ بيانه من التلطف والاستمالة مع هذا اليتيم، في إجابته بأسلوب التعجب من باب الإنشاء غير الطلبي بقوله: (ما أحسن ما قلت يا غلام)أ فبدأه باللفظ الحسن قبل أن يُطعمه، ويتصدق عليه.

وفي النداء هُنا، والتنبيه به في قوله: (يا غلام) مع أنه حاضر في مجلسه نوع من الإشارة إليه والاهتمام به، وكأنه ﷺ يجبر خاطره بجميل اللفظ وحسن التنبيه، وقوله (يا غلام) فيه من الحنو والعطف ما فيه، فهو مازال في السن التي تستوجب الرحمة به، والشفقة عليه.

وفي نداء النبي ﷺ بلالًا ﷺ بقوله: (يا بلال) تنبيهًا له كذلك واستيقاظًا وشحذًا لهمته، حتى إذا جاءه الأمر بقوله: (اذهب إلى أهلنا فأتنا بما وجدت عندهم من طعام)، صادف نفسًا متيقظة، وقلبًا متأهبًا؛ لتنفيذ ما أُمر به وامتثال ما دُعي إليه.

ومن ثم جاءت (الفاء)؛ للتعقيب والسرعة مكررة في قوله: (فذهب فجاء بواحدة وعشرين تمرة فوضعها في كف رسول الله . ﷺ ، وفي ذلك إشارة إلى عناية بلال ﷺ، وحسن رعايته لهذا اليتيم في هذا الموقف، بسرعة امتثاله لما ألقاه إليه الرسول . ﷺ من الأمر.

ثم جاءت المبادرة بالفاء كذلك في فعل النبي . ﷺ ودعائه لليتيم في قوله: (فرفعها رسول الله . ﷺ إلى فيه, فدعا فيها بالبركة)؛ ليدلك البيان النبوي الشريف على سرعة استجابة النبي . ﷺ لحال اليتيم ومدى رحمته لضعفه وحاجته.

وفي قول النبي . ﷺ :(ائتنا بما وجدت عندهم من طعام) بدلًا من قوله:

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ٣/ ٩٣.

فأتنا بطعام من عندهم، وكان يكفيه ذلك؛ للدلالة على شدة تأثر النبي ﷺ بحال اليتيم ورثائه وأمه وأخته وبالغ شفقته عليهم، ودلالة أخرى على كمال الجود، وتمام العطاء عند رسول ﷺ.

ثم غاير النّسق في بلاغة وفصاحة عجيبة بين (الفاء) وبين (ثم) في قوله: ثم قال: (يا غلام سبع لك وسبع لأمك وسبع لأختك)؛ لِتوحي لك (ثم) بانحراف بديع في المعنى، وأنه ﷺ تمهل في الدعاء بالبركة، وأطال فيه؛ إلحاحًا لطلب الاستجابة من الله –عز وجل– لليتيم، وفي ذلك من شدة اهتمامه ﷺ باليتيم وعنايته به ما فيه.

وأتبعه بنداء الغلام في قوله: (يا غلام سبع لك وسبع لأمك وسبع لأختك)، فنادى عليه نداء الشفقة والرحمة (يا غلام)، ثم عجّل له بالبشارة في قوله: (سبع لك وسبع لأمك وسبع لأختك) بحذف المسند إليه (هذه)؛ لِيُريه طُعمته دونما حاجز يفصل بينه وبينها ولو بكلمة، ثم عقب بالفاء مرة أُخرى في قوله: (فتغد بتمرة وتعش بأخرى)؛ لِيُبادر الغلام إلى طُعمته، وكذا من وراءه من أمه وأخته، وفي تلك المغايرة بين الفاء وثمّ ما يدلك على عظيم فصاحة النبي ﷺ، وكامل بلاغته التي لا يُباريه فيهما أحد.

ومن الملاحظ أن الصّحابة قد تأثروا أيما تأثر بقول النبي ﷺ، وفعله مع اليتيم، فقام إليه معاذ ﷺ فزاوج له الحنو والعطاء قولًا وفعلًا، فقام إليه (فوضع يده على رأسه وقال: يا غلام جبر الله يتمك، وجعلك خلفًا من أبيك)، وهُنا تجد (الفاء) وما تُبديه من التعقيب والسرعة في وضع يده على رأسه، وفي الدعاء له بعدها، وكأنما يقتفي بذلك أثر رسول الله ﷺ ويحتذي حذوه، حتى تعجب منه النبي ﷺ، ومن جميل صنيعه مع اليتيم، وحنوه عليه.

وفي دعاء معاذ ﷺ دلالة على شدة تعلق معاذ بإجابة الدعاء وبالغ رجائه فيه؛ حتى جعله واقعًا متحققًا يُخبر عنه، وفي موافقة النبي ﷺ لفعل معاذ ﷺ ورضاه عنه سُنة تقريريه لما وافق من قول الصحابة أو من أفعالهم للشريعة، فاستحسنه ﷺ وقبله منهم، ثم أجاب معاذ على ما تعجب منه ﷺ من صنيعه مع اليتيم بقوله: (رحمة له يا رسول الله).

ويختم النبي ﷺ هذا البيان بهذا القسم العجيب (والذي نفس محمد بيده

لا يلي مسلم يتيمًا فيحسن ولايته فيضع يده على رأسه إلا رفع الله له بكل شعرة درجة وكتب له بكل شعرة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة)؛ للتأكيد على ما أخبر به بعد القسم من عظيم الأجر وحُسن العاقبة، وهو أسلوب إنشائي يراد به تأكيد ما بعده, وذلك لأن "القسم إنما يدخل على ما يؤكد" (١)، والسر في مجيئه هنا تقرير الكلام وتمكينه وتثبيته .

والتصريح بالعَلَم (محمد) بدلًا من الضمير من وضع المظهر موضع المضمر، لما فيه من تعظيم وإجلال ووقع حسن على نفوس الصحابة –رضي الله عنهم–.

ثم ولج من خلاله إلى مراده وما أقسم عليه في قوله: (لا يلي مسلم يتيمًا، فيحسن ولايته فيضع يده على رأسه)، فعبر بـ(الفاء) مرة أخرى، فعقب بها بحُسن الولاية ومسح رأسه والحنو عليه؛ لِيُشعرك بما ينبغي أن يكون عليه وصيه من المبادرة وسرعة الامتثال.

وعبر بالقصر في قوله: (لا يلي مسلم يتيمًا فيحسن ولايته فيضع يده على رأسه إلا رفع الله له بكل شعرة درجة)؛ للتأكيد على عظيم الأجر والمبالغة في هذا العطاء، ومحو الذنوب، فأسلوب القصر يعمل على تركيز المعاني في قدر قليل من الكلمات، وذلك؛ "لأنه يجعل الجملة الواحدة تقوم مقام جملتين مع الإيجاز" (٢)، كما أنه "يمكن الكلام، ويقرره في الذهن، وينفي عن الفكر كل شك وإنكار" (٣).

وفي قول النبي ﷺ (فيضع يده على رأسه) بعد قوله: (فيحسن ولايته) تفصيل بديع بعد إجمال؛ لأن وضع اليد على رأس اليتيم والمسح عليها لا شك من حسن الولاية، غير أن النبي ﷺ خصها بالذكر وفصّل فيها القول تفصيلًا؛

(١) الأصول في النحو : ابن السراج، ٢٦٩/٢، ت: عبد الحسين الفتلي , مؤسسة الرسالة، لبنان، بدون سنة طبع.

(٢) البلاغة العربية في ثوبها الجديد: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين . بيروت . الأولى, ١٩٨٧م: ١٧٥/١ .

(٣) البلاغة العربية في ثوبها الجديد : ١٧٥/١ .

لما لها من أثر بالغ عند اليتيم؛ إذ يستشعر بها القرب من كافله، وتستدر الشفقة والرحمة في قلبه.

ثم اختتمت جملة القسم بتلك المقابلة البديعة بين قوله: (وكتب له بكل شعرة حسنة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة)، فقابل بين (كتب، ومحا)، و(حسنة، وسيئة)، للتأكيد على وجوب تمام الأجر للوصي وإسقاط السيئات والوزر عنه، وبهذا يتضح أن المقابلة " ليست زينة بديعية يلهو بها الأديب ، فيورد الكلمة وضدها ، والعبارة وأختها أو نقيضها، ليجعل كلامه براقًا خلابًا بديعيًا" (١)، وإنما يدخل في صميم التركيب؛ ليصور المعني، ويوحي به.

وللمبالغة هُنا أثر بيّن في استعطاف المسلمين واستمالتهم إلى إيواء اليتامى والأرامل في هذا النص الكريم؛ حيث جعل الله –عز وجل– لهم درجات مرفوعة لا يُحصيها عاد، وحسنات تُكتب كذلك بلا حساب، وسيئات تمحى تستعصي على الإحصاء، فمن منا، أو من غيرنا، يُحصي ذلك الشعر في رأس اليتيم، فالمبالغة تستحث السامع نحو هذه الأجور والدرجات، ومحو تلك الآثام والسيئات.

وقد عمت الأساليب الإنشائية في هذا البيان النبوي الشريف، وتخللت الحوار المُفعم الذي دار بين اليتيم وبين النبي ﷺ، ثم بينه وبين الصحابة –رضوان الله عليهم–، فبدأها اليتيم أولًا بالنداء بقوله: (يا رسول الله)، ثم بالدعاء له بعد ذلك بقوله: (أطعمنا أطعمك الله، وأعطاك الله)، ثم في أسلوب التعجب من حسن بيان الغلام في قوله: ﷺ (ما أحسن ما قلت يا غلام)، ثم في نداء النبي ﷺ بقوله: (يا بلال)، ثم أتبعه بأمره بالذهاب إلى أهله للإتيان بالطعام، ثم في نداء النبي ﷺ للغلام مرة أخرى بقوله: (يا غلام سبع لك)، ثم في نداء معاذ ﷺ للغلام والدعاء له بقوله: (يا غلام جبر الله يتمك...)، ثم في نداء رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ بقوله: (قد رأيت يا معاذ ما صنعت)، ثم في أسلوب القسم في قوله ﷺ (والذي نفس محمد بيده).

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد : د . بكري شيخ أمين، ٣/ ٦٣ .

ولم تتكرر أدوات النداء هُنا، وتعم في جنبات النّص عبثًا، وإنما جاءت لِتُضفي على النص جوًا من اليقظة والتنبيه، وأنه ينبغي لتلك الحال أن تظل هكذا منتشرة بين أجوائهم جميعًا حتى تُقضى حاجة اليتيم، فـ "النداء لون من الخطاب ، ولا يكون إلا في أمر هام ، وحين يعظم هذا الأمر يصحب النداء أساليب أخرى لها تأثير قوي كالأمر والنهي والاستفهام "(١).

وقد بُني الحديث الشريف مع طوله على الإيجاز بنوعيه، إيجاز القصر أولًا؛ فلا تجد فيه فقرة يستغني عنها النّص، أو يتم المراد بدونها، ثم الإيجاز بالحذف كما ذُكر سالفًا، وكما في حذف مقول القول في قول النبي: (ما أحسن ما قلت يا غلام)، فهنا جملة محذوفة تستثيرها جُملة القول، فبعدما انتهى حديث اليتيم كأن سائلًا سأل وبماذا أجاب النبي ﷺ؟ فكانت الإجابة ما أحسن ما قلت...، كذلك حذف المسند إليه في قوله (سبع لك وسبع....) والتقدير: هذه سبع، وكذلك حذف الجملة في قول معاذ: (رحمة له)، والتقدير: صنعت ذلك رحمة له.

الحديث الخامس:

رويَ عن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم وبكاء اليتيم، فإنه يسري في الليل، والناسُ نيامٌ"(٢).

جاء التحذير في هذا البيان النبوي متوافقاً مع ما جاء في القرآن الكريم من تخويف شديد من مغبة الإساءة إلى اليتيم والغفلة عنه، وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في غير ما آية منه، فلطالما دعا القرآن الكريم إلى إكرام اليتيم وحذر من ظُلمه وعدم مساعدته والرفق به، فيقول الله تعالى: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ}(٣)، ويقول:

(١) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن: د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م: ص ٢٧٦ .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري، ت: مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثالثة، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م . كتاب الْبر والصلة وَغَيرهمَا، ح ر(٣٨٤٧): ٣/ ٣٤٩.

(٣) [الفجر: ١٦، ١٧].

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ }[١]، ويقول أيضًا: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ }[٢].

ومن جوامع كلم النبي ﷺ ومُحكَمِه في الوصية باليتيم والرفق به هذا الحديث المُبارك، فقد بدأه ﷺ بهذا التحذير الشديد والتخويف من التسبب في بكاء اليتيم وإدخال الحُزن إلى قلبه، وأن يبيت على ذلك، ثم بيّن السبب في هذا التحذير والوعيد أن هذا الدمع وتلك الأحزان تسري إلى الله في حين غفلة منك.

والتحذير هُنا من الأساليب الإنشائية شديدة الوقع لا سيما إذا جاءت في بداية النّص، وقد بدأ بها البيان النبوي الشريف؛ لأنها تكشف عن خطر عظيم يراه هو، ويعرف مآلاته، وفيه من الشفقة كذلك على المخاطب أنه مدعاة لتنبيهه قبل أن يقع المحذور.

وبكاء اليتيم هُنا كلمة موحية، فهي وإن كانت لتحذير المخاطب من أن تذرف عينه الدمع فإن في ذلك تحذيرًا عن أسباب حزنه وإيلامه، ثم جاءت الفاء السببية؛ لِتكشف لنا عن سر هذا التحذير الشديد بأن هذا الدمع يسري ليلًا، ويصعد إلى الحق –سبحانه– فيشهد على كافله بالظلم، وكفى بالله شهيدًا.

وقد شخص البيان النبوي الشريف الدمع هُنا بإنسان، أو ملك له إرادة ومظلومية يحملها على كاهله، ثم لا ينفك عنها حتى يصل بها إلى الحكم العدل– سبحانه– بجامع الوصول والانتهاء في كل، وفي تشخيص الدمع هُنا نُكتة أخرى لبيان قوة هذا الدمع، وقدرته على الوصول إلى الله– –سبحانه– والإخبار عن حاله.

وجاءت جملة الحال هُنا والنّاس نيام؛ مبالغة في التحذير والتخويف من عاقبة هذا الفعل المُشين، فإنه فضلًا عن سُراته في الليل، فإنه يسري حين يسري وهم نيام لا يشعرون بما ينتظرهم من عذاب الله وسخطه جزاء تلك المظلمة، وفي ذلك من التعريض بهم بالغفلة ما فيه .

---

(١) [الضحى: ٩].

(٢) [الماعون: ١، ٢].

المبحث الثالث: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث(التشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة والكناية)

مدخل:

التشبيه هو أحد أهم أدوات البلاغة التي يستخدمها الشّعراء والكتّاب لتزيين عباراتهم وإضفاء رونق خاص على معانيها، وهو عبارة عن إيجاد وجه شبه بين أمرين مختلفين، وذلك بهدف إيضاح معنى أو إثارة انفعال معين لدى القارئ، فيساعد التشبيه على إيضاح المعنى، وذلك بربطه بشيء ملموس ومعروف للقارئ، كما أنه يضيف إلى النص جمالاً ورونقاً، ويجعله أكثر جاذبية للقارئ، ومن تأثيره أنه يمكن للتشبيه أن يثير في نفس القارئ مجموعة متنوعة من الانفعالات، مثل الفرح والحزن والخوف والدهشة، كما أنه يعمل على تنشيط العقل والوجدان، ويدعو القارئ إلى التفكير والتأمل، فيعد التشبيه أداة بلاغية قوية وفعالة، تساهم في إغناء اللغة وتنويعها، وتجعل النصوص الأدبية أكثر جمالًا وأثرًا في النفوس، كما أن المجاز المرسل هو أحد أهم أدوات البلاغة التي يعتمد عليها الأدباء والشعراء لزيادة جمال النصوص وتأثيرها في القارئ، وهو عبارة عن استخدام كلمة أو عبارة بمعنى غير معناها الحرفي، وذلك لإيصال فكرة أو معنى معين، كما يساعد على فهم المعاني المقصودة من النصوص الأدبية، ويمكن للكاتب أن يستخدم المجاز المرسل لتطوير أسلوبه وجعله أكثر إبداعًا، ويدفع القارئ إلى التفكير والتأمل في المعاني الخفية للنص، وذلك ما نجده متحققًا في الاستعارة بالإضافة إلى أنها تجعل النص أكثر جاذبية وإبداعًا، وتساعد على إيصال معانٍ دقيقة ومعقدة بشكل مبسط وواضح، وهذا من جمال اللغة، وتنوع التعبير بها.

أولًا: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي في باب التشبيه:

الحديث الأول:

عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة (وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى) امرأة ذات منصب وجمال آمت من زوجها، حبست نفسها على أيتامها حتى بانوا أو ماتوا "(١).

بدأ البيان النبوي الشريف بالإخبار عن نفسه، وعن هذه المرأة الكادحة المجهدة الحانية على أولادها، أنها تكون أقرب ما تكون منه في الجنة، والبدء بالضمير هُنا لكمال التحديد والتمييز، فهو ﷺ يتحدث عن نفسه هو في بيان تام ووضوح كاشف .

وتنكير المرأة هُنا لِتعميم الأجر وتوسعة المنافسة؛ لِيشمل كل امرأة توقف نفسها على أولادها.

ثم جاء التشبيه هُنا؛ لبيان مقدار القرب واللُحمة والمنزلة من النبي ﷺ، لا لبيان القرب فحسب كما قد يتوهم بعض الدارسين، وأنها تكون منه يوم القيامة كأقرب ما تكون المجاورة، والجمع بين إصبعيه له إشارة واضحة، ودلالة قاطعة على هذا التشبيه، فشبه قربها منه في المنزلة والدرجة كقرب ما بين السبابة والوسطى، "وهنا أيضاً قامت الإشارة بدور المشبه به؛ لأنها أكمل في البيان من المشبه , ولو أردنا أن ندلل باللفظ عن هذه الصورة لقلنا: رسول الله وكافل اليتيم متجاورين في الجنة كثيراً"(٢)، وهو ما دون الإشارة لا شك، وكمال التشبيه.

ويظهر جمال التشبيه هُنا في عِظم العوض وتمام العطاء من حيث قربها من النبي ﷺ أولًا، ثم من كون هذا القرب في الجنة الباقية الخالدة ثانيًا،

(١) مسند أحمد، ح ر(٢٤٠٠٦): ٣٩/ ٤٣٢. وسفعاء الخدين: السفع: سفعة سواد في خدّي المرأة الشاحبة. والنارُ تَسْفَعُ الشيء إذا لفحته لفحاً يسيراً فغيّرت لون بشرته سَفْعاً. معجم العين (سفع).

(٢) بلاغة الإشارة (بين النظرية والتطبيق) أ.د سعيد جمعة أستاذ البلاغة والنقد المساعد في كلية اللغة العربية، فرع جامعة الأزهر بالمنوفية، د. ط: ص: ٣٧.

فهذه المرأة بقدر ما تبتعد عن زوج، أو متاع في دنيا زائلة محدودة بقدر ما تقترب من سيد الثقلين في جنة سرمد أبدًا، قال الطِّيبي:" وأشار بالسبابة والوسطى، أي: أشار بهما إلى ما في ضميره من معنى الانضمام وهو بيان «هكذا»"(١).

ثم يُفصل النبي ﷺ القول في وصف هذه المرأة السفعاء بأنها امرأة صاحبة وجاهة وشرف وجمال، وهي مما يرغب فيه الرجال، لكنها مع ذلك حبست نفسها على أيتامها.

وتأمل كلمة (حبست) وما توحي به من كمال انقطاع هذه المرأة على أبنائها ومدى المعاناة التي كانت تُعانيها في ذلك، فهي في سجنٍ تستعذبه بما ينتظرها من أجر عميم، وقرب من خاتم النبيين، وسيد المرسلين، ثم انظر إلى حتى الغائية، في قوله: (حتى بانوا أو ماتوا)، وهي تنتقل بالنص إلى آفاق أرحب من الفصاحة والبيان، وقد دلت (حتى) هُنا على تمام مثابرة هذه المرأة، واكتمال عزيمتها في أداء تلك الرسالة كاملة حتى النهاية.

وكلمة (آمت) والإخبار بها عن المرأة في هذا البيان النبوي كلمة مقصودة، يقول الخليل: "وامرأةٌ أَيِّم قد تَأَيَّمَتْ، إذا كانت ذات زَوْج، أو كان لها قبلَ ذلك زوجٌ فمات، وهي تَصْلُح للأزواج، لأنّ فيها سُؤْرةً من شبابٍ.. والأَيامَى: جَمعُها"(٢)، فإيثار البيان النبوي الشريف لهذه الكلمة دون غيرها؛ للإشارة إلى أنها حين قصرت نفسها على أولادها، واكتفت بهم لم تفعل ذلك لِضعف أو كِبر، وإنما فعلته إيثارًا لأولادها، وصيانتهم على رغباتها وشبابها.

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م. ١٠/ ٣١٧٦.

(٢) معجم العين . الخليل بن أحمد الفراهيدى . ت : د/ مهدى المخزومى . د/ إبراهيم السامرائى . دار مكتبة الهلال: (أيم).

الحديث الثاني:

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى"[1] .

جمع النبي . ﷺ في هذا البيان الشريف بين كفالة اليتيم، وبين السعي على الأرملة والمسكين، فهم إنما يخرجون جميعًا من مشكاة واحدة، ومن حُسن البيان في هذا النّص دقة انتقاء الألفاظ الموحية والمعبرة عن المعنى، فالساعي هو المجتهد الدؤوب، ومناسبة المجاهد للساعي، وما يبذله في سبيل الله لا تخفى على متأمل، وكذلك مكابدة الليل وصيام النّهار، ومثل ذلك كافل اليتيم الضامن له، والساعي على حاجته، فالتناسب بين هذه الألفاظ ومعانيها كذلك، يظهر بقوة من خلال هذا النص الشريف.

وقد بني البيان النبوي هُنا على التشبيه في الصورتين؛ حيث تشبيه الساعي أولًا على الأرملة والمساكين بالمجاهد في سبيل الله، ثم تشبيه كافل اليتيم آخرًا في قربه من النبي بقرب ما بين السبابة والوسطى في اليد الواحدة، ولا يخفى مدى تأثير صورة المشبه به على المشبه في هذا السياق؛ إذ المجاهد في سبيل الله يكاد يُفني نفسه وماله في سبيل تحقيق حماية الدِّين وحفظ بيضته، وكذلك الساعي على الأرملة والمسكين، فهو حتى يصل إلى هذه المنزلة (منزلة المجاهد في سبيل الله) يكاد يُفني ماله ونفسه على مدار الأيام وتتابع الزمان؛ سعيًا لهم وتدبيرًا لشؤونهم.

وفي التشبيه هُنا إشارة أخرى إلى الإخلاص وابتغاء وجه الله للساعي، فإذا كان المجاهد لا ينال أجره هذا إلا بهذا القيد (في سبيل الله) فكذلك الساعي لن ينال الأجر إلا بتخليص سعيه هذا من شوائب العجب والرياء والسُّمعة، وأن يكون فحسب ابتغاء وجه الله –تعالى–، فهذا من فيض المشبه به على المشبه، وتأثير القيد على الصورة.

---

(١) مسند إسحاق بن راهويه، ت: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١. ح ر(٣٧٤): ١/ ٣٦٥.

ثم تأتي تفاصيل أخرى في التشبيه عبر (أو) في قوله: (أو كالقائم ليله والصائم نهاره)؛ لتنوع للساعي على الأرملة والمسكين بين الدرجات العُليا عند الله، والمنازل الرفيعة، فهو في سعيه هذا يرى بين عينيه إخوانه المجاهدين، أو القائمين الصائمين، فكما لا يفتر هؤلاء عن الذب عن الإسلام، ومكابدة النّوم، وظمأ الهواجر، فكذلك ينبغي أن يكون هو في سعيه الدؤوب على الأرملة والمسكين.

وفي التشبيه هُنا نكتة أخرى في الجمع في صورة المشبه بين الجهاد في سبيل الله وقيام الليل وصيام النّهار؛ حيث إن وجود الأرملة التي غاب عنها زوجها إلى الأبد قد يكون مطمعًا للغواية، فجمع البيان النبوي للساعي بين هذه الأمور كي لا يقع في المحذور، وكأنه ﷺ يقول له: كُن مُجاهدًا مثابرًا ولا تلتفت، كُن قائمًا وصائمًا، ثم جمع النبي ﷺ بعد هذه الصورة التشبيهية في نسق واحد بين الساعي على الأرملة والمسكين، وبين كافل اليتيم في هذا البيان؛ وذلك لما يجمع بينهما من الاجتهاد والسعي والبذل والعطاء، وحسن التعهد والرعاية.

وجاء هذا القيد في وصف كافل اليتيم (المصلح) في رواية أخرى يقول فيها النبي ﷺ: "وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ المُصْلِحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ"[1]، جاء فيها مثل هذا التشبيه؛ لِيتناسب مع القيد الذي زِيد في المجاهد (في سبيل الله)، وكأن النبي ﷺ في هذه الرواية يقول: هكذا ينبغي أن يكون المجاهد (في سبيل الله)، وهكذا ينبغي أن يكون كافل اليتيم المخلص.

وقد تدرج البيان النبوي في هذين التشبيهين، وترقى فيهما من الأعلى إلى الأعلى، فجعل ثمرة الساعي على الأرملة والمسكين في أعلى درجات الجنة، وجعل كافل اليتيم في أعلى درجات القرب، وفي القرب الحُسنى وزيادة.

---

(١) جامع معمر بن راشد ت/ حبيب الرحمن الأعظمي ١١/ ٢٩٩، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت ط: الثانية، ١٤٠٣ هـ ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ت: مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م. بَابُ كَفَالَةِ الْيَتِيمِ. ح ر(٢٠٥٩٢): ٩/ ١٤٤.

الحديث الثالث :

ثم فصّل النبي ما أجمله في الأحاديث سالفة الذكر، وزاد عليها في بيان آخر في قوله: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ عَالَ ثَلَاثَةً مِنْ الْأَيْتَامِ، كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ، وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ، كَهَاتَيْنِ أُخْتَانِ، وَأَلْصَقَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى"(١).

في هذا البيان النبوي الشريف يُبين النبي ﷺ أن من يقوم برعاية ثلاثة أيتام والتكفل بهم، فكأنما قام بكل هذه العبادات الجليلة من صلاة وصيام وجهاد في سبيل الله؛ وذلك لبيان ما في ذلك العمل من الأجر العظيم، الذي يُعادل ما يحصل عليه قائم الليل، وصائم النّهار، والمجاهد في سبيل الله، وفي الحديث بيان لتعدد العبادات، وأنها غير مقصورة على الصيام والصلاة والجهاد فحسب، فهناك عبادات أخرى تُعادلها في الأجر على رأسها كفالة اليتيم، ففيه الخير العظيم في الدنيا والآخرة.

وفي هذه الصورة البيانية يُشبه النبي ﷺ من يكفل ثلاثة من الأيتام بقائم الليل وصائم النّهار والمجاهد في سبيل الله، ثم يجمع بينهم في صورة أخرى وبين النبي ﷺ في القرب واللُحمة، كالسبابة والوسطى.

ومن اللافت للنظر أنّه ﷺ قد زاد في المشبه به في حق كافل اليتيم في النص المبارك عن الروايات الأخرى، وذلك لما زاد في صورة المشبه لفظًا وعددًا، فالعيلة الفقر والعزو، واليتيم ثلاثة، فلما كابد الكافل وجاهد في سبيل إعفاف اليتيم من الفقر والعوز، وضم إلى اليتيم يتيمين آخرين زاد له النبي ﷺ في الجزاء والأجر، فجمع له بين قيام الليل، وصيام النّهار، والمداومة على الجهاد في سبيل الله جزاءً وفاقًا.

ومن بديع الصورة هُنا ما فصّله فيها ﷺ في قوله: (غدا وراح شاهرًا سيفه)، وهي مناسبة تمامًا لزيادة العدد إلى ثلاثة في جانب المشبه، فإذا كان

(١) سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرنؤوط. كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ حَقِّ الْيَتِيمِ. ح ر(٣٦٨٠): ٤/ ٦٤٢.

كافل اليتيم الواحد قد يستريح وقتًا ما، ويلتقط بعض أنفاسه، فإن كافل الثلاثة لا يُتاح له ذلك، ومن ثمَّ فهو دائمًا في حالة جهاد وسعي، ولا يخفى ما توحي به كلمة (شاهرًا) من المجاهرة في السعي على اليتيم، وأنه قد يلجأ أحيانًا إلى الزود عنهم جهارًا وجلب أرزاقهم وحقوقهم عيانًا.

ويهدف البيان النبوي من خلال التشبيه التأكيد على عظم أجر كفالة اليتيم، فهو عمل عظيم يُعادل أفضل العبادات وأعلاها منزلة، ويهدف- أيضًا- إلى التشويق إلى كفالة اليتيم؛ حيث جعلها النبي ﷺ أمرًا مرغوبًا فيه، لما فيه من الأجر العظيم والثواب الجزيل، وذلك فيه ما فيه من ترك أثر عميق في النفوس، والتلطف واستمالة القلوب إلى التطلع إلى هذا الفضل.

ثم ختم له النبي ﷺ بما هو كالمسك، وزاد فيه كذلك بقوله: (وكنت أنا وهو في الجنة أخوين، كهاتين أختان، وألصق أصبعيه)، ففصل في الصورة كذلك، وأبان فيها ،مبالغة في التلطف والاستمالة، فقوله: (أخوين) هُنا نعم العِوض عمّا بذله الكافل مع اليتيم، فإذا كان الكافل قد ضمّ اليتيم إلى عياله وخاصته فإن النبي ﷺ قد رفع الكافل إلى منزلته ودرجته، وزاد في القرب في قوله: (كهاتين أختان)؛ لِدفع كُل شُبهة أو توهم عن أُخُوته له في الجنة، وقربه في المنزلة، ثم زاد في المبالغة والترقي، وزاد في الحب والرضى بالقرب فألصق بين أصبعيه.

ثانيًا: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي في باب الاستعارة:

الاستعارة هي أحد أهم أدوات البلاغة التي تستخدم لإضفاء الجمال والعمق على اللغة، فتقوم على نقل صفة من شيء إلى شيء آخر بناءً على تشابه بينهما، مما يخلق صورة ذهنية قوية لدى المتلقي.

وتستطيع الاستعارة أن تحرك مشاعر المتلقي وتثير عواطفه بشكل قوي، مما يجعلها أداة فعالة في الإقناع والتأثير، ويمكن التعبير بها لتوضيح معنى صعب أو فكرة معقدة بطريقة مبسطة وسهلة الفهم.

فالاستعارة من أدق أساليب البيان تعبيراً وأرقها تأثيراً وأجملها تصويراً وأطرفها تخييلاً وأكملها تأدية للمعنى"[١]، فهي تنقل الأشياء عن صورها الواقعية إلى صور خيالية أكثر إيحاءً، وأوفر عطاءً بما تضفيه عليها من روح الإبداع وجمال التصوير.

فهي أداة قوية في يد الكاتب والشاعر، تجعله قادرًا على خلق عوالم جديدة وإيصال أفكاره ومشاعره بطريقة مؤثرة وجميلة.

الحديث الأول:

رويَ عن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إياكم وبكاء اليتيم، فإنه يسري في الليل، والناسُ نيامٌ"[٢].

في هذا البيان النبوي الشريف يستميل النبي ﷺ قلوب أمته لكفالة اليتيم، والعمل على رعايته وإسعاده، وذلك من خلال تحذيرهم من الغفلة عنه، فالغفلة عنه مع شدة حاجته وعوزه وفاقته بمثابة الظلم الذي يقع عليه، فيشتكي دمعه إلى مولاه ظُلم أهل الأرض له.

ونجد في هذا البيان النبوي الشريف استعارة بديعة تُعبر عن عُمق تأثير بكاء اليتيم ووصول صوته إلى السماء، فالاستعارة المكنية هُنا تكمن في وصف بكاء اليتيم بأنه (يسري)، وهو وصف عادة ما يطلق على الأشياء الخفية التي تنتقل بسرعة وسهولة[٣]، فقد شخص البيان النبوي الشريف الدمع هُنا بإنسان، أو ملك له إرادة ومظلومية يحملها على كاهله، ثم لا ينفك عنها حتى يصل بها إلى الحكم العدل سبحانه، بجامع الوصول والانتهاء في كل، وفي تشخيص الدمع هُنا تشخيص آخر ببيان قوة هذا الدمع، وقدرته على الوصول إلى الله– –سبحانه–، والإخبار عن حاله.

وسر الاستعارة هُنا يكمن في بيان قوة هذه الدمعة ومدى فاعليتها وتأثيرها، فهي وإن كان المتسبب فيها لا يرى فيها، إلا ضعفها وهوانها إلا أنها

---

(١) ينظر: البلاغة فتونها وأفنانها، د / فضل حسن عباس ص: ١٥٨ ط دار الفرقان ط. ١٩٧٨م.

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري، ت: مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثالثة، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م. كتاب الْبر والصلة وَغَيرهمَا. ح ر(٣٨٤٧): ٣/ ٣٤٩.

(٣) ينظر: لسان العرب : (سرى).

تسري بذاتها سريان الحي القادر حتى تصل إلى مرادها ومبتغاها، وتشكو حالها إلى بارئها وتنتصر به لصاحبها اليتيم الضعيف العاجز، وفي ذلك من تخويف كافل اليتيم وتحذيره منها ما لا يتحقق في الأسلوب الحقيقي المباشر، فالاستعارة من شأنها أنها "تُعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ"(١).

ثم إن هذه الاستعارة الحيّة النابضة لتتناغم مع أسلوب التحذير والتخويف في صدر هذا النّص، فبعدما حذر النبي ﷺ كافل اليتيم من التسبب في بكائه أو إهماله وتركه ودمعه وآلامه وأحزانه، شخص له مغبة هذا البكاء في صورة حيّة مُجسمة يراها بخياله، وينظر إليها من وراء حجاب، فيقع التحذير منه موقعه، ويسري التخويف في قلبه، وفي هذا من التلطف به واستمالة قلبه لإدخال السرور على اليتيم، وتحويل حزنه إلى سعادة وفرح، وفي ذلك من استمالة قلبه ما فيه.

الحديث الثاني:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ الْبَتَّةَ إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لاَ يُغْفَرُ لَهُ"(١).

في هذا الحديث الشريف يدعو فيه النبي ﷺ إلى أهمية كفالة اليتيم ورعايته، فهذا العمل من أعظم الأعمال الصالحة التي تُقرب العبد من ربه، فمن قام بكفالة يتيم مسلم ورعايته وتوفير كل ما يحتاجه من مأكل وملبس ومشرب، فإن الله –تعالى– يُكافئه على ذلك بإدخاله الجنة، وذلك لفضل الله وكرمه على عباده المؤمنين.

وجاءت الاستعارة البديعة في قوله ﷺ :(مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ)؛ حيث شبه رعاية اليتيم في شدة الحرص عليه، وولعه في البحث عنه، والتحرز له عند الموصي، بشيء مادي يُستحوذ عليه في قبضة اليد بجامع التحصن والتمكن والحماية، ثم حذف ذلك الشيء وأبقى شيئًا من لوازمه

(١) أسرار البلاغة ص: ٤٣ .

(١) سنن الترمذي ت/ عواد بشار. أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بَابُ مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ اليَتِيمِ وَكَفَالَتِهِ. ح ر(١٩١٧): ٣/ ٣٨٤.

وهو القبض، على سبيل الاستعارة المكنية ، وفي ذلك من تمام الرعاية له والخوف عليه ما تعجز عنه العبارة المباشرة والحقيقة الظاهرة، فالنبي ﷺ لا يُريد أن يكون يتيمًا مضمومًا عند كافله وحسب، وإنما يُريده أن يكون مُصانًا مُحاطًا كالمال، وتكمن بلاغة الاستعارة هُنا في تصور الحماية والخوف عليه والمحافظة التامة من أن تصل إليه يد أخرى أو أن يُصيبه أذى

ويمكن حمل الاستعارة هنا على التبعية في قوله: (قبض)؛ حيث شبه الأخذ بقوة والتمسك بالمأخوذ بالقبض بجامع شدة الإمساك وشدة الحرص عليه في كل، وهذا من كريم دلالات البيان النبوي وفيض عطاءاته النصية.

فلفظة (قبض) هُنا لفظة موحية مفعمة بالتصوير لذلك المسلم الذي يبحث عن نجاته لعله يدركها، والتي وجدها في ذلك اليتيم، فالاستعارة هنا "تفعل بالأشياء والمعاني أعجب الأفاعيل؛ لما تقوم به من خلط العناصر وعجنها، ومزج الأمشاج المعنوية بالحسية... مما يجعلها ضالعة بتصوير أدق المعاني بكفاءة وروعة منقطعة النظير"(١).

فالاستعارة هنا تستميل المسلمين، وتستحثهم إلى التنافس في فعل الخير، والإحسان إلى اليتامى، وتجعل المسلم يشعر بأهمية اليتيم ورعايته، وعظم أجره، فتعبير البيان النبوي الشريف بالاستعارة دليل على استخدام أرقى الأساليب؛ للتعبير عن المعاني العظيمة، والأخلاق الفاضلة، وهي دعوة للمسلمين جميعًا إلى التكفل باليتيم ورعايته، والعمل على دخول البِشر عليه، مع ما فيه من إشارة إلى التلطف باليتيم والدعوة إلى الرأفة والرحمة به.

الحديث الثالث:

عن عمرو بن دينار، عن الحسن العرني، أن رجلا قال: يا رسول الله، مم أضرب منه يتيمي؟ قال: " مِمَّا كُنْتَ مِنْهُ ضَارِبًا وَلَدَكَ"، قَالَ: أَفَأُصِيبُ مِنْ مَالِهِ؟ قَالَ: "غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالًا، وَلَا وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ"(٢).

(١) التصوير البياني في ديوان ابن حمديس، طه محمد طه، رسالة دكتوراه، (مخطوطة) كلية اللغة العربية بالمنصورة ص: ١١٥.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي. باب الولي يأكل من مال اليتيم مكان قيامه عليه بالمعروف إذا كان فقيرا. ح ر(١٠٩٩٤): ٦/ ٦.

هذا الحديث الشريف يوضح لنا أهمية العدل والرحمة في التعامل مع الأيتام، وحماية أموالهم، كما يُبين لنا أن ولي الأمر مسؤول عن تربية اليتيم ورعايته، وأن عليه أن يكون قدوة حسنة له.

وجاءت الاستعارة المكنية البديعة في قوله: (وَلَا وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ)؛ حيث شبه صيانة ماله بمال اليتيم بالدرع الذي يُتقى به في الحروب، وهي تُظهر مدى خسة من يفعل ذلك، وانعدام مرؤته، بحرصه الشديد على تحصين ماله والتحرز له، في حين كانت المروءة والدين يقتضيان أن يكون هذا التحصن، وتلك الحماية لمال ذلك اليتيم الضعيف العاجز.

وسر الاستعارة هُنا بيان شدة حرص هذا الوصي، وتجسيمه حتى صار واقعًا محسوسًا يتوارى وراءه ويستتر بماله، ومثل هذا التجسيد والتخييل ما تعجز عنه الأساليب الحقيقية المباشرة، وتُظهره الاستعارة، فقد "التقت معه في بؤرة واحده، هي: بؤرة الانفعال الشعوري الحي الناطق، وبهذا تكون أقدر على التعبير من غيرها، وأكثر تحقيقًا وتنسيقًا"(١).

وفي ذلك من التلطف بالموصي، والبعد به عن أكل مال اليتيم، أو الإضرار به، وفيه دعوة إلى المحافظة على مال اليتيم، والبعد عن الأخذ منه للمحتاج قدر المستطاع، والتعفف عنها من الوصي المستطيع.

الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكِ؟ وَمَا أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي"(٢).

يجسد لنا هذا البيان النبوي الشريف معاني الوفاء والتضحية لأم اليتامى ومدى تصبرها عليهم، حتى يبلغوا إلى الرشد والأمان، وبيان ما أعده الله لها مكافأة على هذا الصنيع السامي.

---

(١) من روائع علم البيان، د/ السعيد النوتي، ط بدون، ص: ٢٦٤.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م. ح ر(٦٦٥١): ١٢/ ٧.

وفي قولها: (فَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي) استعارة مكنية بديعة، استعار فيها شدة عنايتها بأيتامها، وحسن مراعاتها لهم، بالدجاجة، أو النعامة الحانية التي قعدت على بيضها، تصونه وترعاه حتى يخرج أبناؤها، بجامع الملازمة والملاصقة والرعاية في كل، فهذه الصورة البديعة التي تُصور هؤلاء اليتامى بفراخ صغار لا يعلمون من أمور الدنيا شيء سوى من يتعهدهم بالرعاية والعناية؛ لذا نالت هذه المرأة، بتلك المثابرة، تلك المنزلة.

وفي هذا من التلطف بها، واستمالتها، وأمهات المسلمين إلى رعاية الأيتام، والصبر عليهم، والمثابرة والمرابطة ما فيه.

ثالثًا: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي في باب المجاز المرسل

مدخل: المجاز لون من ألوان التعبير الراقية، التي تكشف عن سر هذه اللغة وجمالها وبراعتها فى سوق المعاني فى حلل متنوعة، وقد عده ابن جني من أبواب شجاعة العربية لأنه يقتحم بالألفاظ أودية غير أوديتها، معتمدا فى ذلك على إشارات القرائن وإيحاءات السياقات التى تتنبه إليها القلوب الفطنة الذكية(١)، وقد درج البلاغيون فى مقدمة هذا الدرس على تقديم تمهيد يتناول تعريف كل من الحقيقة والمجاز؛ لما له من تعلق بفهم مسائل المجاز وعلاقاته.

قال السكاكي:" الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل فى الوضع، كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص، فلفظ الأسد موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه، أو هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة"(٢)

والمجاز هو: الكلمة المستعملة فى غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالا فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها

(١) التصوير البياني، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٥، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م: ص: ٣٦٦.
(٢) ينظر: مفتاح العلوم ١/ ٣٥٨.

فى ذلك النوع [١] وقال الخطيب: الحقيقة: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب ... والمجاز: هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته. [٢]

وينقسم المجاز إلى قسمين: مرسل واستعارة، قال الخطيب: " المجاز ضربان: مرسل واستعارة؛ لأن العلاقة المصححة إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة، وإلا فهو مرسل ... الضرب الأول: المرسل وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت فى النعمة؛ لأن من شأنها أن تصدر عن إلى المقصود بها [٣].

وسمي مرسلًا؛ "لأنه غير مقيد بعلاقة واحدة هي المشابهة، بل أرسل وردد بين علاقات، وقيل: مرسل ومطلق عن المبالغة، بخلاف الاستعارة".

وفيه أنهم قالوا: المجاز مطلقا أبلغ من الحقيقة؛ لكونه كالدعوى مع البينة" [٤].

الحديث الأول :

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"[٥].

حثّ النبي الكريم ﷺ في هذا البيان النبوي الشريف أمته على الابتعاد عن سبع ذنوب عظيمة مهلكات، تهدم الدين، وتفسد الأخلاق، ومن بين هذه

(١) السابق: ١/ ٣٥٩.
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: ٢٠٤.
(٣) الإيضاح ص: ٢٥٤.
(٤) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ) ت/ عبد الحميد هنداوي، ٢/ ٢٣٦. : دار الكتب العلمية، بيروت.
(٥) صحيح البخاري. كتاب الوصايا. باب قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا} ح ر(٢٧٦٦): ٤/ ١٠.

السبع التعدي على مال اليتيم وحرمانه منه، فالحديث تحذير من الكبائر التي تذهب إيمان العبد، وتبعده عن الله –تعالى– وتحذير شديد من ارتكاب تلك الكبائر، فهذا البيان النبوي يُعد من الأحاديث التي تحث على ترك المعاصي، والتقرب إلى الله –تعالى– عن طريق المُعلم الناصح الأمين، الذي يُساعد أمته، ويُرشدهم، ويهديهم إلى السير في طريق الخير والرشاد.

وقد نوع النبي ﷺ في الصورة في أحاديث اليتيم، فجاءت الصورة البيانية هُنا عبر هذا المجاز المرسل في قوله: (وأكل مال اليتيم)؛ حيث جعل التصرف في مال اليتيم بغير وجه حق أكلًا، وبيَّن أن هذا الفعل يُعد نوعًا من الأكل الذي يضر النفس والروح معًا، فجعل المال مأكولًا مع أنّ المأكول في الحقيقة هو طعامه وشرابه، لكنه لجأ إلى هذا المجاز للدلالة على أن هذا المعتدي قد التهم مال اليتيم كُله، فهو لا يأكل طعامًا وشرابًا وإنما يأكل المال نفسه دراهم ودنانير، وفيه من الدلالة على الشّره والجرأة على اليتيم ما فيه، والعلاقة هُنا السببية؛ حيث إن المال سبب للطعام والشراب، وموجد لهما.

وقد جاء هذا المجاز معطوفًا على قوله: ﷺ (وأكل الربا)، وهذا من بديع التناسب وحُسن الجمع، ففي ذكر آكل الربا بصورته المستبشعة الشرهة ما يُنفر السّامع من أن يضم نفسه إليه في صورة واحدة، ونسق متحد، ثم في العطف عليه في التولي يوم الزحف ولبس العار، فهو كتوليه عن الأمانة، وتحوله عن ميدان المروءة والشّرف.

وقد جاءت هذه الصورة المجازية في معرض نهي النبي ﷺ عن السبع المهلكات التي تودي بصاحبها يوم القيامة، وفي ذلك النهي من التحذير والتخويف والشفقة على الأمة والرحمة بها ما فيه، فهو ﷺ أحرص النّاس عليها وأشفقهم بها، ودلالة (الموبقات) هُنا وما توحي به من "الهلكة دلالة قاطعة في الزجر بالغة في التخويف والوعيد"[١].

(١) ينظر: جمهرة اللغة . ابن دريد. ت : رمزى منير بعلبكى . دار العلم للملايين . بيروت . ط الأولى ١٩٨٩م: (وبق).

الحديث الثاني:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رجلا سأل النبي ﷺ، فقال: ليس لي مال، ولي يتيم؟ فقال: «كل من مال يتيمك غير مسرف» أو قال: «ولا تفدي مالك بماله" [1] .

جاء هذا البيان النبوي للدلالة على جواز الأكل من مال اليتيم بالمعروف، وما أجمل ما استهل به هذا الصحابي الجليل جوابه بهذا النفي البديع المبين لحاله، والكاشف لفاقته وحاجته (ليس لي مال)، ثم في حسن تفطنه، ووعيه بمسالك البيان؛ حيث حذف جملة الطلب ايجازًا واختصارًا لدلالة حاله عليه بقوله: (أفآخذ من ماله؟) ؛ لدلالة حاله عليها، فجاءه الجواب الحكيم من رسول الله ﷺ فقال: (كل من مال يتيمك غير مسرف) بهذا الأسلوب الإنشائي (كل من مال يتيمك)، والذي جاء الأمر فيه للإباحة؛ لغرض بلاغي، وهو: توهم وصي اليتيم بحرمة ماله عليه مُطلقًا، حتى مع شدة الحاجة، فجاءت إباحة؛ لترفع عنه الحرج في الأكل بالمعروف قدر الضرورة، ولا تخفى دلالة (من) هنا ومناسبتها للأكل منه دون إسراف أو تبذير، كما أعاد ذكر اليتيم بلفظه؛ ترقيقًا لحاله، وتشفيقًا عليه، فوضع المظهر موضع المضمر، ثم أضافه إليه بقوله: (يتيمك)؛ مبالغة في استمالته وترقيق قلبه عليه ، فهو يتيمه وهو ليس بغريب عليه.

وعقب عليه بالاستدراك بجملة الحال (غير مسرف) ولا مبزر؛ حتى لا تعبث يداه في تلك الأموال بلا حيطة ولا حذر، فتفنيها وتذهب بها، وفي الجمع بين: الإسراف ، والتبذير في هذا السياق، مبالغة في صيانة المال، والتحوط له.

وجاءت هذه الجملة: (ولا تفدي مالك بماله)؛ لتؤكد المعنى الأول وأنه

---

(١) سنن أبي داود كتاب الوصايا باب ما جاء في ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم ١١٥/٣ رقم (٢٨٧٢)، وسنن النسائي كتاب الوصايا باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه ٢٥٦/٦ رقم (٣٦٦٨)، وابن ماجه كتاب الوصايا باب قوله: (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) ٩٠٧/٢ رقم (٢٧١٨).

يأخذ منه فقط على قدر الضرورة والحاجة، وأنها تنتهي حين يصبح لديه مال، فحينئذ ينفق من مال نفسه لا من مال يتيمه، ولا يفدي بماله ماله، قال الخطابي: أي: غير متخذ منه أصل مال، قال: ووجه إباحته له الأكل من مال اليتيم أن يكون ذلك على معنى ما يستحقه من العمل فيه والاستصلاح له، وأن يأخذ منه بالمعروف على قدر مثل عمله(١).

وقوله: (كل من مال يتيمك)، وهو إنما يأكل من طعامه وشرابه، فهو مجاز مرسل علاقته السببية؛ حيث ذكر السبب وأراد المسبب، وهو على حد قولهم: (رعينا الغيث)،

"يريدون النبتَ الذي الغيث سببٌ في كونه... فالغيث، لمَّا كان النبت يكون عنه، صار كأنه هو"(٢).

وسر المجاز هُنا، والتعبير بالمال بدلًا من الطّعام، هو: شدة تخويف وصي اليتيم من أن يُبالغ في الأخذ من طعامه وشرابه؛ لأنه إنما يأكل المال نفسه نقوده (دراهمه ودنانيره) فليحذر.

وفي ذلك من التلطف باليتيم، والشفقة به، والتحذير من التعدي عليه في نفسه وفي ماله، هذا التحذير المبني على الشفقة منه ﷺ بكافل اليتيم؛ حتى يستميل قلبه للشفقة باليتيم والمحافظة عليه وعلى ماله؛ لأن في ذلك الأجر العظيم له، والنجاة الخالصة.

وفي قوله: ﷺ (بالمعروف) من البلاغة والفصاحة أن جمع له سبل الاعتدال كُلها، والاقتصاد في ماله في لفظ واحد؛ إذ المعروف في المال جماع الخير فيه، وتمام الرشد.

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٥ هـ: ٨ / ٥٣.

(٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة: ص: ٣٩٧.

رابعًا: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي في باب الكناية:

الكناية هي إحدى أدوات البلاغة التي تعتمد على الإيحاء والتلميح بدلاً من التصريح المباشر. فبدلاً من ذكر الشيء صراحةً، نذكر شيئاً آخر له علاقة به، ليفهم المتلقي المعنى المقصود من السياق.

فالتعبير بالكناية يُثير فضول المتلقي ويدفعه إلى التفكير والتأمل، مما يزيد من تأثير الكلام على عواطفه.

كما تُستقدم الكناية في التعبير؛ لتخفيف حدة الكلام في مواقف حساسة، كأن نعبر عن الغضب أو الحزن بطريقة غير مباشرة.

إلى جانب أن التعبير بالكناية يُمكن الكاتب من إبراز معنى عميق بكلمات قليلة، مما يضفي على الكلام قوة وإيجازًا، فهي تزيد من جمال اللغة وأناقتها، وتجعلها أكثر جاذبية، وهي أداة قوية تتيح لنا التعبير عن أفكارنا ومشاعرنا بطريقة مبتكرة ومؤثرة ، ومن خلالها يمكننا أن نضيف عمقًا وجمالًا إلى كتاباتنا.

ومن التعبيرات النبوية في ذلك ما روي عن أبي عمران الجوني قال: قال رجل: يا رسول الله أشكو إليك قسوة قلبي!! قال: "أدن منك اليتيم وامسح رأسه وأجلسه على خوانك يلن قلبك وتقدر على حاجتك" [(١)].

جاء هذا البيان النبوي الشريف في معرض يشكو فيه هذا الصحابي الجليل قسوة قلبه، وضعف إيمانه، إلى رسول الله ﷺ فكان الجواب الحكيم منه ﷺ بخير ما يجلب الرقة واللين، قائلًا له: (أدن منك اليتيم وامسح رأسه وأجلسه على خوانك يلين قلبك وتقدر على حاجتك)، ودنو اليتيم هنا ليس المراد منه الملامسة الظاهرة فقط، وإنما كناية عن شدة القرب، وما يتبع ذلك من المودة والحُب، وكذلك قوله: (وامسح رأسه) فليس المراد الملامسة وتمرير الأنامل على الرأس فحسب، إنما هي كناية عن التلطف مع اليتيم، وإشعاره

(١) مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري، ت: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م . باب ما جاء في كافل اليتيم من الثواب الجزيل. ح ر(٦٥٧): ٢/ ٢.

بالحنو وبثّ العطف والتحنان، وغرس الطمأنينة، ثم أتبعها بتلك الكناية اللطيفة بقوله: (وأجلسه على خوانك[١])، وهي كناية لطيفة عن مشاركته في زاده، وخاصة طعامه.

وجاء جواب الأمر في قوله ﷺ: (يلين قلبك وتقدر على حاجتك) على طريقة الأسلوب الحكيم؛ حيث كان الصحابي يشكو فقط من قسوة القلب، لكن النبي ﷺ، بحكمته البالغة وحرصه على الأمة وما ينفعها أجابه بما يُزيل قسوة قلبه، ويُمكنه من قضاء حاجته، وقد وقعت هذه الكلمة (تقدر على حاجتك) الموقع الحسن والمرضي، وهي مناسبة تمامًا ومتسقة مع ما يفعله هذا الصحابي لليتيم، فكما قضى حاجة اليتيم المادية والمعنوية، وأقدره عليها، قضى الله حاجته كذلك، وأقدره عليها، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

وفي هذه الكناية من كمال استمالة قلب الموصي، وكمال التلطف باليتيم والرحمة به ما تعجز عنه التعابير الحقيقية المباشرة، فهي تصوير بديع مُفتّر لهذه الحالة المرهفة من الحنو والعطف.

وقد جاء هذا الأسلوب الكنائي في غير ما موضع في هذا البحث وتعددت طرائقه فيه حسبما يقتضيه السياق ويتطلبه مقامه الذي ورد فيه، ومن ذلك أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ" [٢].

وقوله ﷺ : "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ الْيَتِيمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ حَسَنَةً"[٣].

وقوله ﷺ : "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُلَيَّنَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمَسَاكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ"[٤].

---

(١) والخِوانُ: المائدة: العين (خون).

(٢) مسند أحمد: ٣٦/ ٤٧٤.

(٣) مكارم الأخلاق للطبراني، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. ص: ٣٥٠.

(٤) مسند أحمد: ح رقم (٧٥٧٧) ٢٢/١٣.

ففي الحديث الأول والثاني جاءت الكناية عن الشفقة والرحمة والعطف على اليتيم، وجاءت ثمرتها بواسع الأجر وعظيم الثواب عدد شعر رأسه، وفي ذلك من الدعوة من التلطف به والحنو عليه، ومن استمالة كافله وحثه على نيل الأجر ما لا يخفى على متأمل، وجاء الحديث الثالث بهذا الأسلوب الكنائي المميز بالدعوة إلى لِين القلب ورقته عبر المسح على رأس اليتيم، فهي أسلوب كنائي رائق يُشير إلى معانٍ أعمق وأشمل من مجرد لمس الرأس بل يتعداها إلى معاني الشفقة والرحمة التي يشعر بها المسلم تجاه اليتيم، وكذلك القرب منه والتعاطف معه، فتلك الحركة البسيطة تدل على صدق وعمق المشاعر مع اليتيم، وترشد من جانب آخر إلى مدى حاجة اليتيم إلى الدعم والحنان، ثم إنها تُذكر الكافل بالموت الذي ألم بوالد اليتيم، وما قد يتعرض له ولده كذلك؛ إذ ليس الموت ببعيد، ففيه ترقيق للقلب وتذكرة بالمصير المحتوم، وعليه، فإن المسح على رأس اليتيم تعبير عن أسمى القيم الإنسانية والإسلامية يحث على بناء مجتمع متكامل ومتراحم.

الخاتمة

فيما مضى من صفحات البحث، تناولت موضوعًا من الموضوعات المهمة والحيوية، التي تدور حولها، وتتناولها أحاديث الرسول ﷺ ، وهو موضوع اليتيم، وما يتصل به من مظاهر وضوابط حسن معاملته، ورعايته، وكفالته، وتربيته، ورحمته، والرفق به، وأسس العلاقة بين المسلمين وبينه، وما تنطوي عليه أحاديث الرسول ﷺ في ذلك المجال من إرشادات وتوجيهات ونصائح وضوابط إسلامية سديدة في كيفية التعامل مع اليتيم، وأوجه رعايته وكفالته، وحسن تربيته، وما تتضمنه تلك الأحاديث أيضا من أسس وضوابط حسن العلاقة بين المسلمين واليتيم في الواقع الاجتماعي.

ثم دراسة ما تضمنته تلك الأحاديث من قيم وأساليب بلاغية وبيانية، كان لها أبرز الأثر في إيضاح مضامين تلك الأحاديث، ونقلها بدقة وسهولة إلى المتلقين؛ ليتعلموا ويفيدوا منها في تعاملهم مع الأيتام، في كل زمان ومكان يظلمها الإسلام بظله الوارف، وكذلك أثرها في جمال الأسلوب، ودقته، وروعته، من كافة وجوهه، وأساليبه، وأدواته ووسائله البلاغية والبيانية.

ومن خلال ذلك كله تبين ما يلي:

-أثبت تحليل الأحاديث بلاغيًا وبيانًا ومضمونيًا، في سياق البحث، بديع فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدرته الفائقة التي لا تجاري على تملك ناصية البيان، وحسن التصرف فيه بكل ألوانه ووسائله، وجمعه في سياقه بين قيم وأساليب بلاغية وبيانية، في سياق الحديث الواحد، في اتساق وتناسب عجيب معجز، وفي تناسب قوي بينها وبين مضامين الأحاديث، يعجز عنهما أساطين البلاغة والفصاحة، وأرباب البيان البليغ، في كل زمان ومكان.

-أوضح البحث اهتمام ديننا الإسلامي، ورسولنا العظيم ﷺ الواضح باليتيم، وضرورة الاهتمام به، وحسن رعايته، والعمل على توجيهه، وحسن تربيته، فقدما الكثير من التوجيهات والإرشادات والنصائح الإسلامية السديدة، ووجها المسلمين إلى مراعاتها في التعامل مع الأيتام، وفي كيفية العمل على حسن رعايتهم، وإنفاذ مصالحهم، وذلك كله في أسلوب بياني معجز ومثير، يأخذ بالألباب، ويسيطر على القلوب، ويدفع المتلقين له إلى التأثير به،

والاستجابة لما ينطوي عليه من مضامين، تحمل في طياتها التوجيهات والإرشادات والنصائح الإسلامية، المتصلة بذلك الشأن، وملامح التشويق إلى حسن الثواب في الأخوة، ومن خلال التعبير عنها، بقيم وأساليب بلاغية وبيانية مثيرة ومؤثرة ومعجزة.

-أثبت التحليل البلاغي والبياني للأحاديث النبوية الشريفة، المتصلة باليتيم، دقة البيان النبوي، وبلاغته الواضحة، وفصاحته القوية، وسلامته اللغوية، مما جعله يؤثر بشدة في المتلقين له، ويحملهم على العمل بما يتضمنه من توجيهات وإرشادات ونصائح سديدة، وتشويق مؤثر لحسن المثوبة في الآخرة، ليس في مجال رعاية اليتيم والاهتمام به فقط، بل في كل مجال دارت حوله وتناولته أحاديث الرسول ﷺ.

-يتضح من سياق البحث ، ومن خلال تحليل الأحاديث النبوية فيه بلاغيًا وبيانيًا ومضمونيًا، أن الأسلوب الخبري، وما يتبعه في سياقه من أسلوب الشرط، يعد أكثر الأساليب البلاغية ورودًا في أحاديث اليتيم؛ لأهميته القصوى في تأكيد حسن المثوبة، وعظيم الجزاء، وعلو شأن الثواب في الآخرة، لمن يلتزم من المسلمين بتطبيق ما ورد في تلك الأحاديث من توجيهات وإرشادات وضوابط إسلامية في كيفية التعامل مع اليتيم من مختلف الوجوه، وإقناعه بذلك كله، من خلال سياق الأسلوب الخبري الدقيق البليغ، بما لا يسمح للمتلقي بفرصة للشك أو التردد في التسليم بحسن مثوبة رعاية اليتيم وحسن معاملته، أو التردد في الالتزام بما وجه إليه في الأحاديث حول كيفية التعامل مع اليتيم، والمطلوب منه في ذلك المجال؛ لينال تلك المثوبة العظيمة.

-يتضح أيضا من سياق البحث، ومن خلال تحليل الأحاديث فيه أن الأسلوب الإنشائي، بأساليبه وأدواته، هو أكثر الأساليب البلاغية ورودا في أحاديث اليتيم بعد الأسلوب الخبري؛ لتناسبه مع ما يهدف إليه النبي ﷺ من وراء أحاديثه في شأن اليتيم، وما فيها من توجيهات وإرشادات ونصائح إسلامية غايتها مراعاة المصلحة العامة لليتيم، ولأهمية الأسلوب الإنشائي، ودوره الحيوي، في إثارة المتلقي، وجذبه إلى المتكلم، ولفت نظره بشدة إلى ما يقدم له في أحاديث اليتيم من توجيهات وإرشادات ونصائح إسلامية، عن طريق

أساليب الإنشاء وأدواته المثيرة والمؤثرة، والدافعة بقوة إلى التأمل في ما تعبر عنه تلك الأساليب في سياق الأحاديث، ودفع المتلقي وحثه بشدة على العمل به، والالتزام بتطبيقه في التعامل مع اليتيم.

-أثبت البحث، ومن خلال تحليل الأحاديث الواردة فيه، أهمية ما تضمنته الأحاديث في سياقها من قيم وأساليب بلاغية، وما تنطوي عليه من أسرار ودقائق ونكات بلاغية وبيانية، في كشف وإيضاح كل موضوع أو مجال من الموضوعات أو المجالات التي تناولتها أحاديث اليتيم، وكذلك دورها المهم في جلاء وإيضاح مضامين الأحاديث، وإيصالها للمتلقين بسهولة ويسر، وقوة مناسبتها الدقيقة لكل ذلك، وكذلك أثرها القوي في بيان فصاحة وبلاغة الرسول ﷺ ودقة بيانه، ورفعة شأنه، وقوة تأثيره في المتلقين، وحملهم على الاستجابة لما وجهه الرسول ﷺ إليهم في تلك الأحاديث.

-تضمنت أحاديث اليتيم العديد من الصور الفنية الخلابة الجميلة والمثيرة، التي تحرك مشاعر المسلمين، وتثير أحاسيسهم، وتهز وجداناتهم، وتستميلهم بقوة إلى الاستجابة لتوجيهات وإرشادات الرسول ﷺ في تلك الأحاديث، حول كيفية التعامل مع اليتيم، وحسن رعايته وكفالته، وكذلك التأثر الشديد بعظم أجر كافل اليتيم، وحسن مثوبة راعية، والتشويق إلى نيل ذلك الأجر، والحصول على تلك المثوبة العظيمة، من خلال الاستجابة لما وجهه الرسول ﷺ في تلك الأحاديث الخاصة باليتيم، التي تضمنت تلك الصور الفنية الرائعة، لاسيما في مجالات التشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة، والكناية، بل وفي غيرهما من القيم والأساليب البلاغية، التي وردت في سياق تلك الأحاديث، وكشفت عنها بوضوح تحليلاتها البلاغية والبيانية في سياق البحث.

-كشف التحليل الفني: البلاغي، والبياني، والتحليل المضموني، لأحاديث اليتيم، عن وجود قيم وأساليب بلاغية وبيانية أخرى كثيرة، وردت في ثنايا القيم والأساليب البلاغية والبيانية العامة، التي هدف البحث إلى تحليلها، وكشف جمالياتها، وأثرها في سياق الأسلوب وجماله، وقوة تأثيره في المتلقين، وفي إيضاح مضمون الأحاديث سواء من حيث ضوابط التعامل مع اليتيم، ومن حيث الأجر والثواب المعد في الآخرة لمن يحسن إلى اليتيم، بكل ألوان

الإحسان ومظاهره.

ومن تلك القيم والأساليب البلاغية: بعض المحسنات البديعية، والإيجاز والإطناب ، وألوان من قيم وضوابط الفصل والوصل وغيرها.

وكلها وقعت في مواقعها المناسبة، وجاءت داعمة بقوة لجمال أسلوب الأحاديث، ومؤكدة لمضامينها، وكاشفة بوضوح عن الغايات والأهداف الإسلامية من وراء الأحاديث النبوية، إضافة إلى ما احتوت عليه من جماليات ومحاسن، وأسرار ودقائق ونكات: بلاغية، وبيانية، وفنية، ومضمونية، لها أثرها القوي في المتلقين، ودفعهم إلى الاستجابة لمضامين الأحاديث، والالتزام بما فيها، والتشوق إلى عظيم الأجر، وجزيل الثواب، المعد لهم في الآخرة.

وكل ما أرجوه–بعد ذلك– أن يكون البحث قد كشف عن ذلك كله، وحققه بالفعل في تحليلات الأحاديث التي وردت في سياقه. والله الموفق.

فهرس المراجع

١ . الأدب المفرد، البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ ..

٢ . الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي . القاهرة . الخامسة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م .

٣ . الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن : د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٤ . أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٥ . الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي د/ ابتسام حمدان، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٩٩٧م..

٦ . الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط: الثانية عشرة ٢٠٠٣م.

٧ . الأصول في النحو : ابن السراج، ت: عبد الحسين الفتلي, مؤسسة الرسالة، لبنان، بدون سنة طبع.

٨ . الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت .

٩ . الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط: الثالثة.

١٠. البر والصلة، للحسين بن حرب، ت: د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن – الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ.

١١ . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، الزملكاني، ت : خديجة الحديثى، مطبعة العاني ـ بغداد ـ ط الأولى ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ م .

١٢ . بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

١٣ . البلاغة العربية في ثوبها الجديد: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين . بيروت . ط الأولى, ١٩٨٧م.
١٤ . الترغيب والترهيب للمنذري، ت: مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثالثة، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
١٥ . التصوير البياني، للدكتور/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٥، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
١٦ . الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٨ م.
١٧ . جمهرة اللغة . ابن دريد . تحقيق : رمزى منير بعلبكى . دار العلم للملايين . بيروت . ط الأولى ١٩٨٩م.
١٨ . جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي، ت: د. يوسف الصميلي . المكتبة العصرية . بيروت . بدون .
١٩ . الحادي عشر من الخلعيات، علي بن الحسن بن الحسين بن محمد، أبو الحسن الخِلَعي الشافعيّ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط: الأولى، ٢٠٠٤م.
٢٠ . الحديث النبوي "طرقه وأغراضه" د/ بسيوني فيود. مطبعة الحسين الإسلامية. ط أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م.
٢١ . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ، ٣١٩/١٠ ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي . القاهرة . ط الرابعة ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.
٢٢ . خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: السابعة.

٢٣ . دراسات في فقه اللغة، د/ صبحي صالح، دار العلم للملايين، ط: الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٢٤ . دلائل الإعجاز تح / محمود محمد شاكر مطبعة المدني – القاهرة، ط الثالثة ١٤١٣ هـ /١٩٩٢ م.

٢٥ . دلالات التراكيب د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ط الرابعة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٢٦ . ديوان امرئ القيس، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٧ . الرسالة الشافية، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: الثالثة، ١٩٧٦م.

٢٨ . رؤية جديدة للإيجاز والإطناب د / بركة ط ١ دار هو لولو القاهرة ١٤٠٤هـ ١٩٨٣ م.

٢٩ . الزهد والرقائق لابن المبارك، ت : حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية . بيروت . بدون سنة طبع .

٣٠ . سنن ابن ماجة، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣١ . السنن الكبرى للبيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٢ ـ شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، ت/ يوسف حسن عمر، تاريخ الطبع: ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م،: جامعة قار يونس، ليبيا.

٣٣ . شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٣٤ . صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٥ . علم أساليب البيان، د/ غازي يموت، ط١، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٦ . علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني فيود، مكتبة وهبة، القاهرة، د. ط.

٣٧ . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيروانى . ت : محمد محيى الدين عبدالحميد . دار الجيل . بيروت . لبنان . ط الخامسة ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .

٣٨ . عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٣٩ . غريب الحديث، ابن سلام الهروي، ت: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، ط: الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

٤٠ . الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٤١ . فيض القدير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.
٤٢ . الكتاب لسيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
٤٣ . كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ط ١٤١٩ هـ.
٤٤ . لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة. ١٤١٤هـ.
٤٥ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة . القاهرة.
٤٦ . مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، الهيئة المصرية للكتاب مصر، ط١، ٢٠٠٨م.
٤٧ . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت. ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٤٨ . مسند أبي يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م.
٤٩ . مسند البزار = البحر الزخار المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٥٠ . مسند الحارث، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، ت: حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.
٥١ . مسند أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٥٢ . مسند إسحاق بن راهويه، ت: د. عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١.
٥٣ . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥٤ . مصنف عبد الرزاق الصنعاني، المحقق: مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.
٥٥ . المعجم الكبير للطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية، ١٩٨٣ م.
٥٦ . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ط ١٩٨٧م، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
٥٧ . معجم العين . الخليل بن أحمد الفراهيدى . ت : د/ مهدى المخزومى . د/ إبراهيم السامرائي . دار مكتبة الهلال.
٥٨ . مغني اللبيب، لابن هشام، ت: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط: السادسة، ١٩٨٥ م.
٥٩ . مفتاح العلوم، السكاكي ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م: ١٧٢/١ .

٦٠ . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ت: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق– بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

٦١ . المقتصد في شرح الإيضاح. عبد القاهر الجرجاني، ت: د كاظم المرجان، دار الرشيد بغداد، ١٩٨٢م.

٦٢ . مكارم الأخلاق للطبراني، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.

٦٣ ـ مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري، ت: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

٦٤ . منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجني، ت: محمد الحبيب الخواجه، دار الغرب الإسلامي، ط٣.

٦٥ . نظرية الانفعال: دراسة في الانفعال الفينومينولوجي, جان سارتر، ترجمة هاشم الحسيني, مكتبة الحياة بيروت . بدون سنة طبع .

٦٦ . النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية : جيروم ستولينتز , ص ٢١٥ ، ترجمة د. فؤاد زكريا, دار الوفاء . الإسكندرية . ط الأولى , ٢٠٠٧م .

٦٧ . الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

References

1. I-***Adab al-Mufrad,*** By Muhammad ibn Isma'il al-Bukhari. Edited by Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi, 3rd ed., Dar al-Basha'ir al-Islamiyyah, Beirut, 1409 AH / 1989 CE.
2. ***Al-Asalib al-Insha'iyyah fi al-Nahw al-'Arabi***, By 'Abd al-Salam Harun. 5th ed., Maktabat al-Khanji, Cairo, 1421 AH / 2001 CE.
3. ***Al-Asalib al-Insha'iyyah wa Asraruha al-Balagiyyah fi al-Qur'an,*** By Sabah 'Ubayd Draz. 1st ed., Matba'at al-Amanah, 1406 AH / 1986 CE.
4. ***Asrar al-Balaghah***, By 'Abd al-Qahir al-Jurjani. Reviewed and annotated by Mahmoud Muhammad Shakir, Matba'at al-Madani, Cairo, Dar al-Madani, Jeddah.
5. ***Al-Usus al-Jamaliyyah li-l-Iqa' al-Balaghi fi al-'Asr al-'Abbasi,*** By Ibtisam Hamdan. 1st ed., Dar al-Qalam al-'Arabi, Aleppo, 1997 CE.
6. ***Al-Uslub***, By Ahmad al-Shayib. 12th ed., Maktabat al-Nahdah al-Misriyyah, 2003 CE.
7. ***Al-Usul fi al-Nahw***, By Ibn al-Sarraj. Edited by 'Abd al-Husayn al-Fatli, Mu'assasat al-Risalah, Lebanon, n.d.

8. ***Al-Atwal Sharh Talkhis Miftah al-'Ulum***, By 'Isam al-Din al-Hanafi (Ibrahim ibn Muhammad ibn 'Arbashah). Edited by 'Abd al-Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut.

9. ***Al-Iydah fi 'Ulum al-Balaghah***, By Al-Khatib al-Qazwini. Edited by Muhammad 'Abd al-Mun'im Khafaji, 3rd ed., Dar al-Jil, Beirut.

10. ***Al-Birr wa al-Silah***, By Al-Husayn ibn Harb. Edited by Muhammad Sa'id Bukhari, 1st ed., Dar al-Watan, Riyadh, 1419 AH.

11. ***Al-Burhan al-Kashif 'an I'jaz al-Qur'an***, By al-Zamalkani. Edited by Khadijah al-Hadithi, 1st ed., Matba'at al-'Ani, Baghdad, 1394 AH / 1974 CE.

12. ***Bughyat al-Iydah li-Talkhis al-Miftah fi 'Ulum al-Balaghah,*** By 'Abd al-Mu'tal al-Sa'idi. 17th ed., Maktabat al-Adab, 1426 AH / 2005 CE.

13. ***Al-Balaghah al-'Arabiyyah fi Thawbihal Jadid,*** By Bakri Shaykh Amin. 1st ed., Dar al-'Ilm li-l-Malayin, Beirut, 1987 CE.

14. ***Al-Targhib wa al-Tarhib***, By al-Mundhiri. Edited by Mustafa Muhammad 'Amarah, 3rd ed., Maktabat Mustafa al-Babi al-Halabi, Egypt, 1388 AH / 1968 CE.

15. ***Al-Taswir al-Bayani***, By Muhammad Abu Musa. 5th ed., Maktabat Wahbah, 1425 AH / 2004 CE.

16. ***Al-Jami' al-Kabir – Sunan al-Tirmidhi,*** By Muhammad ibn 'Isa ibn Sawrah ibn Musa ibn al-Dahhak al-Tirmidhi, Abu 'Isa. Edited by Bashar 'Awwad, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1998 CE.

17. ***Jamhurat al-Lughah***, By Ibn Duraid. Edited by Ramzi Munir Ba'albaki, 1st ed., Dar al-'Ilm li-l-Malayin, Beirut, 1989 CE.

18. ***Jawahir al-Balaghah,*** By Ahmad al-Hashimi. Edited by Yusuf al-Sumayli, al-Maktabah al-'Asriyyah, Beirut, n.d.

19. ***Al-Hadi 'Ashar min al-Khul'iyyat,*** By 'Ali ibn al-Hasan ibn al-Husayn ibn Muhammad, Abu al-Hasan al-Khul'i al-Shafi'i. Published as a manuscript in the free software Jawami' al-Kalim, affiliated with Mawqi' al-Shabakah al-Islamiyyah, 1st ed., 2004 CE.

20. ***Al-Hadith al-Nabawi: Turuquh wa Aghraduh***, By Dr. Basyuni Fayud. 1st ed., Matba'at al-Husayn al-Islamiyyah, 1414 AH / 1993 CE.

21. ***Khizanat al-Adab wa Lub Lubab Lisan al-'Arab,*** By al-Baghdadi. Edited by 'Abd al-Salam Harun, 4th ed., Maktabat al-Khanji, Cairo, 1418 AH / 1997 CE.

22. ***Khasa'is al-Tarakib: Dirasah Tahliliyyah li-Masa'il 'Ilm al-Ma'ani,*** By Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa. 7th ed., Maktabat Wahbah, Cairo, n.d.

23. ***Dirasat fi Fiqh al-Lughah,*** By Dr. Subhi Salih. 1st ed., Dar al-'Ilm li-l-Malayin, 1379 AH / 1960 CE.

24. ***Dalail al-I'jaz,*** Edited by Mahmoud Muhammad Shakir, 3rd ed., Matba'at al-Madani, Cairo, 1413 AH / 1992 CE.

25. ***Dalalat al-Tarakib,*** By Dr. Muhammad Abu Musa. 4th ed., Maktabat Wahbah, Cairo, 1429 AH / 2008 CE.

26. ***Diwan Imru' al-Qays,*** Edited by 'Abd al-Rahman al-Mustawi, 2nd ed., Dar al-Ma'rifah, Beirut, 1425 AH / 2004 CE.

27. ***Al-Risalah al-Shafiyah,*** Published within: Thalath Rasa'il fi I'jaz al-Qur'an [Series: Dhakha'ir al-'Arab (16)], by 'Abd al-Qahir al-Jurjani. Edited by Muhammad Khalaf Allah and Dr. Muhammad Zaghlul Salam, 3rd ed., Dar al-Ma'arif, Egypt, 1976 CE.

28. ***Ru'yah Jadidah li-l-Ijaz wa al-Itnab,*** By Dr. Barakah. 1st ed., Dar Hululu, Cairo, 1404 AH / 1983 CE.

29. ***Al-Zuhd wa al-Raqa'iq,*** By Ibn al-Mubarak. Edited by Habib al-Rahman al-A'zami, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, n.d.

30. ***Sunan Ibn Majah,*** Edited by Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi, Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah - Faisal 'Isa al-Babi al-Halabi, n.d.

31. ***Al-Sunan al-Kubra,*** By al-Bayhaqi. Edited by Muhammad 'Abd al-Qadir 'Ata, 3rd ed., Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1424 AH / 2003 CE.

32. ***Sharh al-Radi 'ala al-Kafiyah li-Ibn al-Hajib,*** By Radi al-Din Muhammad ibn al-Hasan al-Istrabadi. Edited by Yusuf Hasan 'Umar, University of Qar Younis, Libya, 1395 AH / 1975 CE.

33. ***Sharh al-Tibi 'ala Mishkat al-Masabih (Al-Kashif 'an Haqa'iq al-Sunan),***By Sharaf al-Din al-Husayn ibn 'Abd Allah al-Tibi. Edited by Dr. 'Abd al-Hamid Hindawi, 1st ed., Maktabat Nizar Mustafa al-Baz, Mecca - Riyadh, 1417 AH / 1997 CE.

34. ***Sahih al-Bukhari,*** By Muhammad ibn Isma'il al-Bukhari. Edited by Muhammad Zuhayr ibn Nasir al-Nasir, 1st ed., Dar Tawk al-Najat, 1422 AH.

35. ***'Ilm Asalib al-Bayan,*** By Dr. Ghazi Yamut, 1st ed., Dar al-Asalah li-l-Tiba'ah wa-l-Nashr wa-l-Tawzi', Beirut, 1403 AH / 1983 CE.

36. ***'Ilm al-Ma'ani: Dirasah Balaghiyyah wa-Naqdiyyah li-Masa'il al-Ma'ani,*** By Dr. Basyuni Fayyud, Maktabat Wahbah, Cairo, n.d.

37. ***Al-'Umdah fi Mahasin al-Shi'r wa-Adabihi wa-Naqdihi,*** By Ibn Rashiq al-Qayrawani. Edited by Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid, 5th ed., Dar al-Jil, Beirut, Lebanon, 1401 AH / 1981 CE.

38. ***'Awn al-Ma'bud Sharh Sunan Abi Dawud, Ma'a Hashiyat Ibn al-Qayyim: Tahdhib Sunan Abi Dawud wa-Idah 'Illalihi wa-Mushkilatihi,*** By Muhammad Ashraf ibn Amir ibn 'Ali ibn Haydar al-'Azim Abadi, 2nd ed., Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1415 AH.

39. ***Gharib al-Hadith,*** By Ibn Salam al-Harawi. Edited by Dr. Muhammad 'Abd al-Ma'id Khan, 1st ed., Matba'at Da'irat al-Ma'arif al-'Uthmaniyyah, Hyderabad - Deccan, 1384 AH / 1964 CE.

40. ***Al-Fath al-Kabir fi Damm al-Ziyadah ila al-Jami' al-Saghir.*** By 'Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti. Edited by Yusuf al-Nabhani, 1st ed., Dar al-Fikr, Beirut, 1423 AH / 2003 CE.

41. ***Fayd al-Qadir,*** By Zayn al-Din Muhammad (Abd al-Ra'uf al-Munawi), 1st ed., Al-Maktabah al-Tijariyyah al-Kubra, Egypt, 1356 AH.

42. ***Al-Kitab,*** By Sibawayh. Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, 3rd ed., Maktabat al-Khanji, Cairo, 1408 AH / 1988 CE.

43. ***Kitab al-Sina'atayn: al-Kitabah wa-l-Shi'r,*** By Abu Hilal al-'Askari. Edited by 'Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Al-Maktabah al-'Asriyyah, Beirut, 1419 AH.

44. ***Lisan al-'Arab,*** By Ibn Manzur, 3rd ed., Dar Sader, Beirut, 1414 AH.

45. ***Al-Mathal al-Sa'ir fi Adab al-Katib wa-l-Sha'ir,*** By Diya' al-Din Ibn al-Athir (Nasr Allah ibn Muhammad). Edited by Ahmad al-Hufi and Badawi Tabana, Dar Nahdat Misr, al-Faggalah, Cairo.

46. ***Makhtutat al-Jumal - Mu'jam wa-Tafsir Lughawi li-Kalimat al-Qur'an,*** By Hasan 'Izz al-Din al-Jamal, 1st ed., Al-Hay'ah al-Misriyyah li-l-Kitab, Egypt, 2008 CE.

47. ***Mirqat al-Mafatih Sharh Mishkat al-Masabih,*** By 'Ali ibn (Sultan) Muhammad, Abu al-Hasan Nur al-Din al-Mulla al-Harawi al-Qari, 1st ed., Dar al-Fikr, Beirut, 1422 AH / 2002 CE.

48. ***Musnad Abi Ya'la al-Mawsili,*** Edited by Husayn Salim Asad, 1st ed., Dar al-Ma'mun lil-Turath, Damascus, 1404 AH / 1984 CE.

49. ***Musnad al-Bazzar = Al-Bahr al-Zakhar,*** Edited by Mahfuz al-Rahman Zayn Allah (Volumes 1-9), 'Adil ibn Sa'd (Volumes 10-17), and Sabri 'Abd al-Khaliq al-Shafi'i (Volume 18), 1st ed., Maktabat al-'Ulum wa-l-Hikam, Madinah, publication began in 1988 CE and completed in 2009 CE.

50. ***Musnad al-Harith,*** By Abu al-Hasan Nur al-Din 'Ali ibn Abi Bakr ibn Sulayman ibn Abi Bakr al-Haythami. Edited by Husayn Ahmad al-Bakari, 1st ed., Markaz Khidmat al-Sunnah wa-l-Sirah al-Nabawiyyah, Madinah, 1413 AH / 1992 CE.

51. ***Musnad Ahmad,*** Edited by Shu'ayb al-Arna'ut, 'Adil Murshid, and others. Supervised by Dr. 'Abd Allah ibn 'Abd al-Muhsin al-Turki, 1st ed., Mu'assasat al-Risalah, 1421 AH / 2001 CE.

52. ***Musnad Ishaq ibn Rahwayh***, Edited by Dr. 'Abd al-Ghaffur al-Balushi, 1st ed., Maktabat al-Iman, Madinah, 1412 AH / 1991 CE.

53. ***Al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Naql al-'Adl 'an al-'Adl ila Rasul Allah (Sahih Muslim),*** By Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi, Edited by Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut.

54. ***Musannaf ʻAbd al-Razzaq al-Sanʻani,*** Edited by Markaz al-Buhuth, Dar al-Ta'sil, 1st ed., Cairo, 1436 AH / 2015 CE.

55. ***Al-Muʻjam al-Kabir by al-Tabarani,*** Edited by Hamdi ibn 'Abd al-Majid al-Salafi, 2nd ed., Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 1983 CE.

56. ***Muʻjam al-Mustalahat al-Balaghiyyah wa-Tatawwuraha,*** By Ahmad Matlub, Al-Matbaʻah al-Majmaʻ al-'Ilmi al-'Iraqi, 1987 CE.

57. ***Muʻjam al-ʻAyn,*** By al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi. Edited by Dr. Mahdi al-Makhzumi and Dr. Ibrahim al-Samarra'i, Dar Maktabat al-Hilal.

58. ***Mughni al-Labib,*** By Ibn Hisham. Edited by Dr. Mazin al-Mubarak and Muhammad 'Ali Hamd Allah, 6th ed., Dar al-Fikr, Damascus, 1985 CE.

59. ***Miftah al-ʻUlum,*** By al-Sakkaki. Annotated and edited by Naʻim Zarzur, 2nd ed., Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1407 AH / 1987 CE, vol. 1, p. 172.

60. ***Al-Mufhim lima Ashkala min Talkhis Kitab Muslim,*** Edited by Muhyi al-Din Dib Misto, Ahmad Muhammad al-Sayyid, Yusuf 'Ali Badiwi, and Mahmud Ibrahim Bazal, 1st ed., Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalim al-Tayyib, Damascus-Beirut, 1417 AH / 1996 CE.

61. ***Al-Muqtasid fi Sharh al-Idah,*** By ‘Abd al-Qahir al-Jurjani. Edited by Dr. Kazim al-Marjan, Dar al-Rashid, Baghdad, 1982 CE.

62. ***Makarim al-Akhlaq by al-Tabarani,*** Edited by Ahmad Shams al-Din, 1st ed., Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, 1409 AH / 1989 CE.

63. ***Makarim al-Akhlaq wa-Ma‘aliha wa-Mahmud Tara’iqiha,*** By Abu Bakr Muhammad ibn Ja‘far ibn Muhammad ibn Sahl ibn Shakir al-Khara’iti al-Samiri. Edited by Ayman ‘Abd al-Jabir al-Buhairi, 1st ed., Dar al-Afaq al-‘Arabiyyah, Cairo, 1419 AH / 1999 CE.

64. ***Minhaj al-Bulaghā’ wa-Siraj al-Adaba’,*** By Hazim al-Qartajanni. Edited by Muhammad al-Habib al-Khawajah, 3rd ed., Dar al-Gharb al-Islami.

65. ***Nazariyyat al-Infi‘al: Dirasa fi al-Infi‘al al-Finuminulujiyy,*** By Jean-Paul Sartre. Translated by Hashim al-Husseini, Maktabat al-Hayat, Beirut, (no publication date).

66. ***Al-Naqd al-Fanni: Dirasa Jamaliyyah wa-Falsafiyyah,*** By Jerome Stolnitz, p. 215. Translated by Dr. Fu’ad Zakariya, 1st ed., Dar al-Wafa’, Alexandria, 2007 CE.

67. ***Al-Wasata bayna al-Mutanabbi wa-Khusumihi,*** By Abu al-Hasan ‘Ali ibn ‘Abd al-‘Aziz al-Qadi al-Jurjani. Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim and ‘Ali al-Bajawi, Matba‘at ‘Isa al-Babi al-Halabi.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٠٥٩
التمهيد	١٠٦٣
المبحث الأول: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث الخبر، وأسلوب الشرط.	١٠٦٨
المبحث الثاني: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث الإنشاء.	١٠٩٢
المبحث الثالث: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث(التشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة، والكناية)	١١٠٩
أولًا: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث التشبيه.	١١١٠
ثانيًا: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث الاستعارة.	١١١٥
ثالثًا: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث المجاز المرسل.	١١٢٠
رابعًا: بلاغة أساليب التلطف والاستمالة في البيان النبوي عن اليتيم في مباحث الكناية.	١١٢٥
الخاتمة	١١٢٨
فهرس المصادر والمراجع	١١٣٢
فهرس الموضوعات	١١٥٠